دونالد كيهو

قصة الأطباق الطائرة

ترجمة

عبد القادر السماحي

تحرير ومراجعة

أحمد مروان

الكتاب: قصة الأطباق الطائرة

الكاتب: دونالد كيهو

ترجمة: عبد القادر السماحي

تحرير ومراجعة: أحمد مروان

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.bookapa.com **E-mail:** info@bookapa.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

كيهو، دونالد

قصة الأطباق الطائرة / دونالد كيهو، ترجمة: عبد القادر السماحي،

تحرير ومراجعة: أحمد مروان

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٦١ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٨ – ١٦ – ٩٩١ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٢٦٢٦ / ٢٠٢١

قصة الأطباق الطائرة

مقدمة

تبدو قصة الأطباق الطائرة أسطورة شائقة تجد من يتداولها ويقبل على سماعها بشغف، وفي الوقت نفسه تجد الكثيرين ممن يسمعون ولا يصدقون، فحتى اليوم نجد أناسا يستبعدون فكرة وجود كائنات أخرى تسكن الكواكب المجاورة لكوكبنا الأرضي في ذات المجرة، فضلا عن استبعادهم لأية أمكانية لوجود حياة في المجرات الأخرى.

وكانت حكايات الأطباق الطائرة التي يستقلها سكان الكواكب الأخرى ويستخدمونها في زيارة كوكبنا قد بدأت في الظهور بعد الحرب العالمية الثانية، وزادت وتيرتها مع حدوث التفجيرات النووية التي أجرتها الدول الكبرى المتنافسة أو المتصارعة على زعامة الكرة الأرضية، فكأن حالة الصراع هذه هي التي نبهت الآخر البعيد إلى كوكبنا.

وقد مال الناس إلى تصديقها بعد تكرار الرحلات إلى الفضاء،فوفقا لرائد الفضاء نيل أرمسترونج أن المخلوقات الفضائية لديهم قاعدة على سطح القمر و أوحوا له برسالة واضحة تقول: "غادروا القمر في الحال و ابقوا بعيدين عنه".

وحسب التقارير والتسريبات من وكالة ناسا الفضائية أن كلًا من نيل أرمسترونج وإدوين "باز" أولدرين شاهدا صحونًا طائرة و اجسام طائرة

أخرى مجهولة بعد هبوطهم التاريخي على القمر بوقت قصير. (رحلة أبوللو ١١ كانت في ٢١ سبتمبر ١٩٦٩م).

لذلك فهناك من يعتقد أن حله عند جهات تمتلك المعلومات وتحجبها عن العامة، مثل وكالة الفضاء الأمريكية أو الاستخبارات في روسيا وأمريكا مثلا. وهناك من يرى الأمر مجرد خرافة.

والآن ورغم مضي قرابة ثلاثة أرباع القرن على أول ظهور لتلك الأطباق إلا أن جديدا لم يحدث فيها، وذلك يمنح اجتهادات "دونالد كيهو " بشأنها مصداقية متجددة، ويجعل الحاجة لقراءة كتبه متجددة، فلم يضف غيره إلى ما كتب هو حول ظاهرة الأطباق الطائرة، ومؤلف هذا الكتاب وقد ألفه في بداية العقد الخامس من القرن العشرين، كان ضابطا بحريا برتبة صاغ (رائد بحسب مسميات الرتب العسكرية حاليا)في سلاح البحرية بالولايات المتحدة، وكان خلال وجوده بالبحرية الأمريكية يبدي اهتماما خاصا بالأطباق الطائرة، فلما أحيل إلى الاستيداع في نهاية خمسينيات القرن العشرين وجد الفرصة سانحة ليتفرغ لبحث لغز الأطباق الطائرة ودراسة تاريخها وتتبع تطوراتها. وأجرى تحقيقات فيها في مختلف أنحاء العالم.

لذلك فإنه عندما كان سلاح الطيران الأمريكي يضرب نطاقًا كثيفًا من السرية حول الموضوع، ويخفي وثائقه وأفلامه عن الكافة، قدم دونالد كيهو طلبًا للعودة إلى الخدمة، والالتحاق بسلاح الطيران حتى يستطيع الاطلاع على الأسرار وجمع كل ما يتعلق بها من معلومات.

وكان له الفضل الأول في عدول سلاح الطيران الأمريكي، وإدارة مخابراته عن موقفهما. فكشف الغطاء عن الحقائق العجيبة والأسرار المثيرة التي سيجدها القاريء في هذا الكتاب.

ووضع نتائج بحثه في أول كتبه وهو «الأطباق الطائرة لها وجود». وكما يوحي عنوان الكتاب فموضوعه الأساسي هو إثبات الأدلة التي تؤكد على أن الأطباق الطائرة حقيقة وليست خرافة، ووضع كتبا عديدة حولها كان آخرها وأهمها كتاب "قصة الأطباق الطائرة "، وتعتبر كتب دنالد كيهو " في هذا المجال مرجعا رئيسيا لكل من كتب حول الأطباق الطائرة، فهو أول من كتب فيها، وأول من تفرغ لها واتخذ منها تخصصا له، لذلك تعتبر كتبه مرجعًا لكل من يريد بحث موضوعها. وهو يتميز في بحثه بأنه لا يعتمد على التخمينات ولا ينساق للأوهام أو يتأثر بالخرافات. بل يعتمد على الوثائق والأسانيد الرسمية والحجج الدامغة والاستنتاجات المنطقية. ويتميز دونالد كيهو أخيرًا بأسلوبه السهل السلس الواضح الذي يبسط به أعقد المسائل العلمية بطريقة تجعلك تقرأها كما تقرأ رواية بوليسية أو قصة مغامرة مثيرة.

ظاهرة عالمية

هذه الظاهرة ليست جديدة، ويطلق اسم الأجسام الطائرة المجهولة على أي جسم مجهول الهوية أو ظاهرة غريبة خارجة عن المألوف تشاهد في السماء. وقد ذكر الكثير من هذه الظواهر عبر التاريخ و وردت في مخطوطات تعود لعصور قديمة و اختلفت تفسيراتها حسب اختلاف هذه

الشعوب و عاداتها و تقاليدها و معتقداتها. لكنها انتشرت على نطاق واسع في العصر الحديث، أي في بداية عصر الطيران، و تحديدًا بعد الحرب العالمية الثانية.

و في عام ١٩٤٨م، بدأ سلاح الجو الأمريكي في دراسة هذه الظاهرة الغريبة و التي سميت في حينها UFO و قد سمي هذا المشروع بالكتاب الأزرق. وأجبرت المشاهدات العديدة (رادارية و عينية) قرب مطار واشنطن الدولي، في شهر يوليو من عام ١٩٥٢م، الحكومة الأمريكية على تشكيل فريق يضم مهندسين و علماء أرصاد جوية و فيزيائيين وعلماء فلك. وكان هذا الفريق يعمل تحت رعاية وكالة الإستخبارات المركزية CIA و كانت نتائج الأبحاث تصنّف بالسرية التامة، لكن أعلن عنها فيما بعد بسبب ضغط الرأي العام، و قد لخّصت نتائج هذه الأبحاث بتقرير يقول أن ٩٠ في المائة من المشاهدات التي تناولت ظاهرة الأجسام الطائرة كان سببها يعود لعوامل فلكية أو جوية (مثل: كواكب شديدة اللمعان أو نيازك أو الشفق القطبي أو غيوم وسحب أيونية) أو هي عبارة عن مغالطات في تمييز الأجسام المألوفة مثل: الطائرات أو الطيور أو بالونات أو أضواء كاشفة أو غيرها.. لكن المشاهدات المتعددة التي تلت خروج هذا التقرير، والتي سجّلت في أوروبا وروسيا واستراليا والهند وأفريقيا وغيرها من باقي أنحاء العالم، أجبر الحكومات الغربية على تشكيل فريق بحث آخر في فبراير ١٩٦٦م لكنها خضعت أيضًا لسيطرة أجهزة الإستخبارات التابعة لها. وقد خرج

هذا الفريق بنتيجة مشابهة. وفي منتصف الستينات من القرن الماضي، خرج فريق آخر بنتيجة خلاصتها أن نسبة معيّنة من الوقائع والأحداث التي تضمنتها تقارير المشاهدات تشير إلى ما يؤكّد وجود زوّار عاقلين من الفضاء الخارجي.

هذه الفرضية المثيرة، والتي نشرت بالصحف واجهت استنكارا شديدا من قبل علماء آخرين، وحدثت مواجهة أجبرت سلاح الجو الأمريكي على إقامة أبحاث تستهدف وضع إطار نهائي لهذه القضية. وفي عام ١٩٦٩م كان الكتاب الأزرق يحتوي على ١٢,٦١٨ تقرير يتناول أحداث ومشاهدات مختلفة، و معظمها طبيعية قابلة للتفسير (باستثناء ٧٠١ تقرير اعتبر غير قابل للتفسير). وقد الغي هذا المشروع كليًا في شهر ديسمبر من عام ١٩٦٩م استنادًا إلى تقرير كوندون الشهير. ومُنذ ذلك التاريخ لم تقم أي مؤسّسة رسمية تابعة للحكومة الأمريكية بأي عمل يهدف إلى البحث في هذا المجال. لكن ذلك لم يمنع شريحة كبيرة من الجماهير و قسم من العلماء من الاهتمام بهذا المجال. قامت مؤسّسات كثيرة في متابعة البحث في هذا الموضوع أشهرها تلك التي أقامها مجموعة من العلماء عام ١٩٧٣م في "نورثفيلد" بولاية ألينوي، تدعى "مركز دراسة الأجسام الطائرة المجهولة الهوية".

أما القوات العسكرية السوفيتية، فقد واجهت الأجسام الغريبة الطائرة UFO فأقاموا معملا خاصا سريا للأبحاث دعوه "الأجسام الطائرة ". لكنهم لم يكونوا مهتمين كثيرًا بالجدل القائم حول حضارة

غريبة من الفضاء الخارجي، و كان همهم الوحيد هو بمعرفة مدى التأثير الذي يمكن أن تفرضه هذه الظاهرة على المعدات العسكرية أو على أفراد الجيش والقوات المسلحة.

أما حوادث إطلاق النار على هذه الأجسام الطائرة فهي كثيرة،أشهرها كان حادثة إطلاق المدافع المضادة للطائرات التابعة لمنطقة القوقاز العسكرية على شيء طائر يشبه السيجار الذي دخل الأراضي السوفيتية من الحدود مع تركيا، وكان الهدف يطير على ارتفاع أدني من ٤٠٠٠ م، و كانت المدافع قادرة على الوصول إلى أهداف تصل إلى علو ١٢٠٠٠م لكن النيران لم تلحق أي أذى " بالسيجار" في حينها. ثم قام السيجار بزيادة سرعته و طار بعيدا فوق الجبال.

كذلك في نهاية عام ١٩٧١ تمكن الجيش السوفييتي من مشاهدة هدف طائر يشبه السيجار الأسود على ارتفاع ٨٠٠ م وقد كان طول الهدف ٢٥ م وقطره حوالي ٣ م. ولم يكن يتمتع بأي أجهزة لحفظ التوازن أو محركات ومع ذلك كان يطير بسرعة ١٥٠ كم في الساعة بدون إصدار أي ضجيج.

أما في بريطانيا، فإنّ الحكومة لم تبدأ أيّ دراسة رسميّة عن الأطباق الطائرة حتى أجبرها الرّأي العام على ذلك في صيف عام ١٩٥٠، عندما راحت الصحف البريطانية تنشر سلسلة من المقالات مأخوذة من كتب دونالد كيهو، لكن بقي المسؤولون البريطانيون على موقفهم في أن الأطباق الطّائرة هي مجّرد كذبة سخيفة. ولكن إذا أرادوا أن يعتبروها

جديّة فهي تعدُّ أسلحة سريّة جديدة من أصل أمريكي أو روسيّ أنتجتها الحرب الباردة، ومُنذ عام ١٩٥٠ بدأت نظرية الأسلحة السّريّة تفقد بريقها، وحلّت محلّها الفكرة العامّة عن أنّ الأطباق الطّائرة هي لزوّار من عوالم أخرى، وبمقارنة فرضيّة المخلوقات الفضائية مع التّطوّرات الأخيرة من اختراع طائرة أسرع من الصّوت، واكتشاف القوى الذريّة، والتّخمينات عن إمكانيّة السّفر إلى الفضاء، فإنّ هذه الفرضيّة تبدو ممكنة، ويمكن إيجاد تفسيرات منطقيّة لها.

ويلاحظ أن دونالد كيهو لم يغفل هذا الجانب في كتابه وتناوله في فصلين من فصول الكتاب الذي نقدمه اليوم، والآن عزيزي القارىء نتركك مع صفحات الكتاب متمنين لك قراءة ممتعة.

أحمد مروان

مقدمة المترجم

«توجد يا هوراشيو أشياء على الأرض وفي السماء أكثر من كل ما أمكن تصوره في فلسفتك».

شكسبير

(هاملت)

مُنذ أن طالعت في هذا الكتاب "قصة الأطباق الطائرة" وجدت في نفسي ميلًا إلى الاقتناع بما يسوقه المؤلف من أدلة على أنها ترد من كوكب آخر، ووقفت منه على تلك المحاولات الجبارة التي يبذلها الإنسان لغزو الفضاء والوصول إلى الكواكب التي لابد أن تكون مأهولة.. مُنذ ذلك الوقت، وأنا أعيش فيما يشبه النشوة. وليس مبعث ذلك هو الفضول العلمي، أو الفضول فحسب، كما هي الحال لدى أكثر الناس، ولكنه غير هذا وذاك. إنه الحنين إلى المجهول، والرغبة في الانطلاق، وزحزحة الحدود في عالم اللانهاية قليلًا إلى الوراء.. والنزوع إلى عالم آخر، والأمل في حياة ثانية، والطموح إلى مدنية جديدة.. عالم قد يكون قائمًا على المحبة والتسامح والإخاء والحرية، وكل المعاني التي كافحت من أجلها البشرية قرونًا طويلة، وعجزت عن الظفر بها.. وحياة ثانية قد تكون حياة مثيرة مليئة، خالية من الحزن والكآبة والسأم

والضجر.. ومدنية جديدة قد تكون مدنية فاضلة، تقوم على أسس أقوى من تلك التي تقوم عليها مدنيتنا الحاضرة.. مدنية قد تكون أعلى كعبًا في العالم والمعرفة، وأكثر ترفًا في آدابها وفنونها.. من يدري.. لعل أولئك القوم قد اكتشفوا سر السعادة الذي استغلق علينا حتى اليوم!

ومن يدري..لعل دنياهم أفضل، ورجالهم أقرب إلى الكمال، ونساءهم أوفر حظًا من الجمال،ولقد أصبحت الآن، عندما أتأمل السماء في سواد الليل أو في ضوء القمر، يخالجني إحساس عجيب لا أستطيع تحديده.. فقد كنت أنظر إليها من ذي قبل نظرة العاشق أو الشاعر... أما الآن فإنني كلما نظرت إليها، آخذ في التساؤل عما إذا كانت هناك في تلك الآونة ذاتها، مخلوقات غريبة لا ندري من أمرها شيئًا، تراقبنا وتترصد حركاتنا، وتتشاور في أمرنا.. وهل تحكم علينا بالفناء، أو تتركنا لشأننا؟..

وقد اشتد الجدل حول الأطباق الطائرة: ماهيتها، كنهها، أصلها.. وأيًا ما كان الأمر، فإن مؤلف هذا الكتاب – الماجور دونالد كيهو – قد أتى بجديد، فقد انتهى منه إلى نتيجة حاسمة، قرر بها تقريرًا لا يدع مجالًا للشك، بأن الأطباق الطائرة هي آلات كوكبية قادمة من عالم آخر. وأنها ليست سرابًا خداعًا، وليست ظواهر طبيعية، ولا أسلحة سرية أرضية. وقد جمع الأدلة على ذلك من الوثائق والتقارير والمشاهدات والمحادثات مع العلماء والمختصين والثقاة.

وقد يكون هناك من لا يقتنع بأدلته. ولكن الشيء الثابت هو أن هذا الكتاب يقدم للقاريء معلومات إلى أكبر جانب من الأهمية.ويكشف له عن واقع خفية، ويفتح أمامه الملف لاسري للأطباق الطائرة. كما أنه يلقي ضوءًا ساطعًا على ذلك الصراع الجبار الذي يقوم به العلماء في أبحاثهم من أجل سيطرة الإنسان على الكون، وغزوه للكواكب الأخرى، أو على الأقل استكشافه لها، وعقد الصلة معها... وربما الهجرة إليها.

وعندما يقرأ الإنسان هذا الكتاب، يحس بأنه ظفر بجديد، وأن معارفه قد ازدادت، وأن أفقه أصبح أكثر انفساحًا، ووجدانه أكثر اتساعًا وأدق إحساسًا.

عبد القادر السماحي

الفصل الأَول

خلف الكواليس

مُنذ عام ١٩٥١ لم يقف على سر الأطباق غير عدد محدود من الموظفين الرسميين الذين اختيروا بعناية. وقد كشفت لهم عنه إدارة المخابرات بسلاح الطيران الأمريكي في اجتماعات سرية. وكان هناك أكثرمن موظف في شك من أمر الأطباق الطائرة حتى ذلك الوقت، ولكنه خرج من تلك الاجتماعات وهو في حالة انفعال سديد بسبب ما أدلى به ضباط تلك الإدارة. وخلال الشهور التسعة الأخيرة، وضعت تحت أنظاري أكثر الوثائق سرية. ووضعت تحت تصرفي التقارير الخاصة التي قدمها الطيارون في أسلحة الطيران والبحرية والطيران البحري في الولايات المتحدة، متضمنة مشاهداتهم وملاحظاتهم، وكذلك النتائج التي استخلصتها إدارة المخابرات الفنية. كما أنني حصلت على معلومات أخرى ذات أهمية بالغة من الإدارة المكلفة بعمل أبحاث عن الأطباق الطائرة. وهكذا يرتفع الستار ببطء كاشفًا قليلًا قليلًا عن حقيقة موضوعية.

وحتى هذه اللحظة ليس لدينا أي دليل يسمح لنا بالاعتقاد بأن الأطباق الطائرة هي آلات عدوانية. ومع ذلك فهناك أكثر من مرة. اقتربت فيها هذه الآلات العجيبة بشكل خطير من الطائرات ذات

الجنسية الأمريكية والأجنبية، كما حدث في المأساة الجوية التي وقعت خلال تلك الليلة العاصفة في ٢ مايو سنة ١٩٥٣ فالذي حدث هو أن طائرة بريطانية من طراز «كوميت»، وكانت تحمل ثلاثة وأربعين شخصًا، ارتفعت في الجو من مطار دوم – دوم على مقربة من كلكتا. ولكنها اصطدمت بشيء في الظلام بعد عشر دقائق من ارتفاعها. وسقطت بقاياها وهي تحترق بالنيران. وقد وجدت مبعثرة على مساحة من الأرض قدرها ثمانية كيلو مترات مربعة. ولم يتلق مطار دوم – دوم أية استغاثة. فإن الحادث، أيًا كان سببه، وقع مباغتة، بحيث لم يترك للطيار فرصة لإرسال أي نداء. وقد جمع المحققون من وزارة الطيران البريطانية الأجزاء التي تخلفت عن الطائرة والتي كانت مدقوقة بشكل يثير الدهشة، وأخضعوها لفحص دقيق طويل قام به أكبر الخبراء. وفي النهاية أصدرت الوزارة بلاغًا قالت فيه بحذر وتحفظ أن الطائرة اصطدمت «بشيء طائر مجهول» ويعتبر هذا الاصطلاح في الولايات المتحدة مرادفًا لكلمة «طبق طائر». وبالرغم من هول هذه الكارثة التي وقعت للكوميت فإنها لا تدل على أنه كان هناك عمل عدواني. فقد يكون الاصطدام ناجمًا عن حادث عادي من تلك الحوادث التي تقع نتيجة لخطأ في القيادة أثناء الطيران في قلب منطقة الأمطار. ومع هذا فمن الصعب أن نخرج من حسابنا تمامًا الافتراض بوقوع هجوم متعمد على سبيل التجربة من آلة تتحرك بالتوجيه. وأن تعدد ظهور الأطباق الطائرة ليحمل على الظن بأن فترة الاستطلاع على وشك الانتهاء. وقد تكون المرحلة الأخيرة سليمة تمامًا. وفي هذه الحالة، سوف يفيد منها سكان

هذا الكوكب. ولكن هذه المرحلة قد تكون محتفظة لنا في جعبتها بأخطار مهولة.

في خلال ليلة ٤ ديسمبر عام ١٩٤٤، هبط طيار من القوة الجوية للولايات المتحدة في «لاريدو» في التكساس. وكانت تبدو عليه إمارات الفزع بشكل واضح. وحيث أن اسمه كان مشطوبًا في تقارير إدارة المخابرات، فلنسمه الملازم فوجل.

وقد أبلغ فوجل بأنه عندما كان على بعد عشرين كيلو مترًا تقريبًا من مطار لاريدو، كاد يصطدم بطائرته وهي من طراز ف – ٥١ بجسم ذي لون أزرق فاتح.

وفي آخر لحظة حاد «الشيء» عن طريقه، متجنبًا الطائرة بأعجوبة. ثم اختفى بسرعة مخيفة. وحدث بعد ذلك أن فوجل الذي سيطر عليه الانفعال والاضطراب، رأى ذلك الشيء وهو يطير عموديًا، ثم يرسم في الفضاء دائرة كما لو كان على وشك الانقضاض عليه ثانية.

فأسرع الطيار بإطفاء أنوار طائرته، وهبط بها هبوطًا حلزونيًا. وعادت الآلة الغامضة إلى النزول حتى وصلت إلى ارتفاع ٧٠٠ متر، وبعد أن قامت ببضع دورات فوق مطار لاريدو، عادت إلى الارتفاع في الجو، ثم إختفت في الظلام.

لو أن تقرير (فوجل) نشر مُنذ ثلاث سنوات لسخر منه معظم ضباط الطيران. ولكنهم في ذلك اليوم وضعوه موضع الاعتبار. وظلوا

ينهالون عليه بالأسئلة طوال ساعتين: – ذلك الشيء المجهول هل بدا لك أنه يتحرك بالقيادة! بالتوجيه؟ – ماذا كان حجمه وشكله؟ – هل كان يتأرجح أثناء طيرانه؟ كيف كانت طريقته في الارتفاع في الجو؟ وكان المقصود بهذه الأسئلة والأجوبة إخضاعها لدراسة دقيقة عميقة بواسطة إدارة المخابرات الفنية لسلاح الطيران في دايتون، ثم إرسالها إلى الإدارة العامة في واشنجتون. وقد علمت بحادث لاريدو بعد وقوعه ببضعة أسابيع. وكان الذي قص علي الحكاية بالتفصيل هو موظف مدني في السلاح الجوي الأمريكي واسمه ألبرت شوب، تخصص في شئون «الأطباق الطائرة».

ففي ذلك اليوم حوالي الظهر، اتصل بي شوب بالتليفون وقال لي:

– دون، هل يمكنك أن تحضر لرؤيتي حوالي الساعة الثانية بعد الظهر؟

فسألته وقد ظهر علي الفضول:

– ماذا حدث؟

– إدارة المخابرات ستعرض فيلم الأطباق...

– هل تعني بذلك الفيلم السري؟

– كلا..ذلك الفيلم الذي تعنيه لم يكشف عنه بعد. وإنما أعني صورًا أخذت في كارولينا الجنوبية.. عرض خاص طبعًا وستكون أنت الشخص الأجنبي الوحيد خارج موظفي وزارة الدفاع.

وبينما كنت أنطلق بسيارتي في طريقي إلى ذلك اللقاء، كنت أفكر في تقرير ماكلين، أن الصور التي ستعرض على الشاشة أخذت في ١٦ نوفمبر عام ١٩٥٢ بالقرب من لاندروم (كارولينا الجنوبية). فقد حدث حوالي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم أن شاهد مئات من الناس بالقرب من فلورنسه (في الجنوب الشرقي من كامدين) أسطوانة ضخمة لامعة تشق الفضاء.

وأعلن أحد موظفي برج المراقبة في مطار فلورنسه، بعد أن راقب ذلك الشيء بالمنظار، أنه مال فجأة على جانبه قبل أن يرتفع في الجو ويختفي. وبعد ست دقائق تقريبًا، شوهد تشكيل كامل من هذه الأجسام الاسطوانية اللامعة في شمال لاندروم. وكان بين الشهود ج. د. ماكلين، ودافيد بونش، وزوجتاهما. وأخذ بونش بآلته الفوتوغرافية المزودة بجهاز خاص، فيلماً طوله إثنا عشر مترًا لتلك الأجسام العجيبة قبل اختفائها.

وبعد أن حمض الفيلم، سلمه بونش إلى ماكلين، وهو رئيس تحرير إحدى الصحف، وبعد ذلك بفترة وجيزة، طلب إلى ماكلين أن أسلمه إلى السلاح الجوي الأمريكي. وقد استخرجت من الفيلم صورا عديدة، وأرسل الأصل إلى إدارة المخابرات.

وعندما وصلت إلى إدارة المخابرات، لم يكن شوب في مكتبه. وكان عرض الفيلم سيبدأ بعد عشرين دقيقة. فانتهزت هذه الفرصة لإلقاء نظرة سريعة على تقارير الإدارة.

وكان أهم ما فيها تصريح لإدارة المخابرات يفند نظريات عالم فلكي من هارفارد، وهو الدكتور دونالد مينزل، حاول أن يضع الأطباق الطائرة في قائمة ظواهر السراب أو خداع النظر. وكان التقرير الأول بتاريخ ٩ يناير عام ١٩٥٣. ففي ساعة مبكرة من ليلة ٩، كانت قاذفة قنابل من طراز ب – ٢٩ يقودها الكابتين جورج مادين تطير فوق كاليفورنيا. وكان معاونه الملازم فرانك بريجز يحتل مقعد اليمين وكانت الليلة صافية، وأمكن للرجلين مشاهدة سانتا آنا على بعد ٤٩٠٠ متر أسفل الطائرة. وكانت السماء خالية من كل طائرة أخرى. وكان الكابتن مادين مشغولًا بالتحقق من بعض أدواته، عندما اجتذب ضوء قوي انتباه بريجز فجأة. وإذا به يرى تشكيلًا في شكل ٧ قادمًا من اليمين بسرعة خارقة، ومندفعًا نحو قاذفة القنابل. فصرخ الملازم بريجز محذرًا رئيسه الذي انثنى في الحال نحو اليسار.

وخلال برهة تعادل جزءًا من الثانية، وقفت تلك الأجسام الغريبة فجأة، ثم استأنفت صعودها في الجو بشكل عمودي متخلية عن تشكيلها المثلث الشكل. ثم اختفت في الحال. ولم يدم ذلك المشهد كله غير خمس ثوان. وأخذ الكابتن ومساعده ينظران إلى بعضهما البعض. فهل كانا يحلمان؟ كلا، لقد رأينا فعلًا «أطباقًا طائرة».

وكان مادين يعرف تمامًا أنه لا توجد طائرة تستطيع بلوغ مثل هذه السرعة، ولذلك فقد اتصل في الحال بواسطة الراديو ببرج المراقبة. وجاءه الجواب بعد لحظة: لم تكن هناك طائرة أيًا كان نوعها تطير في

تلك المنطقة. وعندما عادا إلى القاعدة، استجوب الطيار ومساعده معًا أولًا، ثم على انفراد، بشأن ما رأياه. وكان التقرير الموضوع الآن تحت نظري صريحًا:" إن إدارة المخابرات لم يخالجها أي شك في شهادة الطيارين".

وقبل ذلك ببضعة شهور، في ليلة ٢٨ – ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٢، كان الملازمان بيرت دين ورالف كوربيت يقومان بمهمة خاصة فوق همبستيد (لونج إيلاند) في طائرة من طراز ف – ٩٤.

وكان عمال الرادار على مقاعدهم في الخلف. وفي الساعة الثانية صباحًا برز فجأة على بعد عشرة كيلو مترات أمامهم جسم يتحرك بسرعة، ويرسل ضوءًا أبيض يحول دون تبين شكله. هذا التشكيل من الأطباق الطائرة الذي يحيط بآلة اسطوانية كان يحلق فوق أولورون في ١٧ أكتوبر عام ١٩٥٢، وكانت تسقط منه خيوط حريرية بيضاء، كانت، تتلاشى عند لمسها.

وعندئذ قال دين لكوربيت بأن يحاول الكشف عن «الطبق» على لوحة الرادار، بينما يعمل هو على الاقتراب منه بالطائرة. وكان الجسم عندئذ يرسم في الفضاء دائرة كاملة.

وفي خلال ثمان دقائق، حاول الطياران أن ينافساه في السرعة، ولكن بلا طائل. وكما لو أن «الطبق» قد سئم هذه اللعبة، فقد اختفى في أعالي الجو بسرعة خارقة.

وصرح الملازم دين لضباط المخابرات بأن ذلك الشيء كان – حسب اعتقاده – معقودًا بشيء ما يستطيع أن يرى الطائرة ويراقب حركاتها. وقال أن سرعته تفوق كل الإمكانيات التي لدى أحدث الطائرات. وأخيرًا كان التقرير الثالث بشأن حكاية لاريدو. ولكن لم يكن لدي من الوقت ما يسمح لي بغير إلقاء نظرة سريعة. فاطلعت على وصف فوجل للشيء المرئي، الأمر الذي قادني إلى التقرير بأن الأطباق الطائرة ذات اللون الأزرق كان عددها في ازدياد. تذكرت أن الوقت قد أزف للذهاب إلى صالة العرض، فتوجهت إليها، وكان شوب في انتظاري.

فدخلنا في نفس الوقت مع ضباط المخابرات. وكان أثنان منهم يعتبران حجمه في شئون «الأشياء الطائرة المجهولة». الكولونيل آدامز، وهو عملاق يبلغ طله مترين، والكولونيل ويندل سميث وهو من نجوم الطيان الأمريكي كما كانت تشهد بذلك أوسمته.

كانت اللقطات الأولى من فيلم ماكلين مشوشة. ولكن ما لبثت أن أظهرت خمسة أجسام لامعة ذات شكل مستطيل، ولما كانت تلك المشاهد قد التقطت في الغروب، فلم يكن من المستطاع تمييز شيء من التفصيلات. وعرض الفيلم ثلاث مرات متعاقبة. وأخيرًا قال الكولونيل لآدمز بلهجة موجزة:

– ذلك يكفي.

والتفت نحو مدير إدارة المخابرات وأردف قائلًا:

– استخرج صورًا عدة لهذا الفيلم لإجراء تحاليل.

فسألت الكولونيل آدمز قائلًا:

– هل سيستغرق هذا التحليل وقتًا طويلًا ؟

فأجاب قائلًا:

– أسابيع وربما شهورًا. فإذا كانت هذه الصور حقيقية – وأنا أعتقد أنها كذلك – فإن هؤلاء الناس يكونون قد رأوا عجبًا. وإذا كنا إزاء «أشياء طائرة مجهولة» ولسنا إزاء ظواهر عادية، فسيكون لدينا ما يشغلنا.

وقال لي سوب عندما هممت بالخروج:

– لاتنسى أن الفيلم الذي شاهدته الآن سري. لدى خروجي رأيت ضابطًا طيارًا برتبة كابتن على وشك الخروج. وكان طويل القامة نحيفًا. ووقف ليشعل غليونه، ورفع عينيه نحوي، فعرفته في الحال.

لقد كان جيم ريوردان وهو طيار يقود طائرة نفاثة وكنت قد التقيت به مُنذ بضع سنوات مع زوجته شيلا. فتبادلنا التحية وسألته:

– هل أنت ملحق هنا؟

فقال بلهجة حادة:

– كلا، حمدًا لله! إنني تركت الخدمة. وإنما أتيت هنا لرؤية زملائي القدامى. لقد تركت الطيران مُنذ يومين، ولكن لازلت أرتدي اللباس

الرسمي لأن السلاح الجوي الأمريكي جعلني في حالة من الهزال أصبحت معها ملابسي المدنية القديمة بمثابة زكايب.

– هل كنت في كوريا؟

– لقد عدت من هناك خمسة عشر يومًا. لماذا؟

– هل رأيت أطباقًا طائرة هناك؟

فحدجني ريوردان بنظرة جانبية وقال:

– لقد سمعت في الحقيقة عن ظهورها مرتين أو ثلاثًا.

– ألم تحاول الاستيلاء على أحدها؟

– أنت آخر شخص أسر إليه بمثل بذلك. فإن سلاح الطيران في هذه الحالة لن يتردد في شنقي.

وأطلعته على تقرير المخابرات. فرفع ريوردان حاجبيه وسأل قائلًا بلهجة تدل على الريبة:

– ماذا يوجد في كل هذا؟

وكانت عيناه تلقيان نظرة فاحصة على واقعة سانتا آنا. وعندما انتهى من القراءة، هز رأسه قائلًا:

– هل تدرك مدى أثر ذلك لو أن الصحف وقعت على هذه القصة التي يرويها الكابتن؟ إن بها ما يفقد الناس صوابهم.

– إن السلطات لن تلبث أن تعثر على تفسير.. ظواهر جوية مثلًا.

– ولكن الجمهور لم يعد يدري ماذا يصدق. هل تذكر ذعر الناس في سنة ١٩٣٨ عندما أذاع أورسون ويلز في الراديو صورة وهمية لغزو الأرض بواسطة أهل المريخ؟

فأمنت على كلامه، ولكن الشيء الذي لم أقله له هو أن خطر حدوث ذعر من هذا النوع لا زال يشغل أذهان بعض موظفي وزارة الدفاع ومع ذلك فقد أردف ريو ردان قائلًا:

– تخيل أن هذه الأطباق الزرقاء تطير في أحد الأيام فوق لوس أنجلوس أو واشنطن، ويراها جميع الناس؟ أن أورسون ويلز نفسه سوف يصاب بالذعر.

فأجبت قائلًا:

– لست متأكدًا من ذلك. إن الناس يأخذون الأشياء بهدوء. كلا لست أعتقد أن تشكيلًا من الأطباق الطائرة يثير الذعر...

ثم نظر إلى ساعته وقال:

– يجب أن أنصرف. ولكن يسرني أن أتحدث معك مرة أخرى في هذه الأمور.

عندما عدت إلى بيتي، أخذت أقرأ تقرير المخابرات، وأدرس تفيندها لنظريات مينزل.

ولقد أزعجتني بعض التأكيدات التي أدلى بها الدكتور مينزل، نظرًا للثقافة العلمية التي لديه. ولكن الذي أدهشني أكثر هو الطريقة المبسطة التي كان يحسم بها في أكثر الحالات إثارة للحيرة، وفي الوقائع التي سجلها الشهود العيان، والتي لم تجد المخابرات لها تعليلًا.

فمثلًا كيف يفسر موت الكابتن توماس مانتيل الذي حدث بطريقة غامضة؟ لقد تحطمت طائرته المقاتلة بينما كان يطارد طبقًا طائرًا. وكان ذلك الجسم الغامض الذي حاول الطيار الاستيلاء عليه قد شوهد بواسطة آلاف من الناس في كينتاكي، من بينهم قومندان قاعدة جورمان الجوية، كما شوهد بواسطة عمال برج المراقبة.

وحسب تفسير الدكتور مينزل، يكون الكابتن مانتيل قد بهرت عيناه بصورة الشمس منعكسة في سحابة من تلك السحب التي تبدو أحيانًا في شكل خيوط مشتبكة كأنها البلور. وهو تفسير لا يقوم عليه دليل. فلم يجد مناصًا من أن يطبقه على كل الشهود الأخرين. كانوا تحت تأثير خداع بصري بسبب سراب أحدثته طبقات الهواء الساخن والبارد.

وهو يفسر كذلك أيضًا حالة الملازم جورج جورمان الذي طارد فوق فارجو «داكوتا الجنوبية» ضوءًا غريبًا كان يتحرك في السماء. ويقول مينزل مفسرًا أن جورمان لمح ضوءًا أحدثته دوامة هوائية فوق جناح طائرته.

***

شهادة غير قابلة للطعن

هناك شهادة طريفة جاءت من كندا، ولا يمكن أن تعزي إلى هلوسة أو خداع بصري، حيث أن أول شاهد عيان فيها كان... كلب! فإذا كان مخيلة «الإنسان» تلد في بعض الأحيان رؤى تصورية بصرية غير حقيقية، فإن غريزة «الحيوان» لا تخطىء. وهي لا تقبل الطعن. والذي حدث هو ما يأتي:

في ٢٠ إبريل عام ١٩٥٢ في مقاطعة أونتاريو، استرعى أحد الكلاب انتباه صاحبه بسبب نباحه الشديد المتواصل. فتتبع الرجل نظرات رفيقه الذي يسير على أربع، فإذا به يجد اسطوانة براقة تشق أجواء الفضاء.

وفي نفس اللحظة، وعلى بعد ٣٠ كيلو مترًا، أبلغ أحد الفلاحين السلطات عن ظاهرة مماثلة الأمر الذي يسمح بالقول بأن الآلة كانت تتحرك على ارتفاع كبير. وأنها كانت ضخمة الحجم. ولو أن الفلاح لا يستطيع أن يدعي لشهادته ما لشهادة الكلب من الصدق! قد يحمل كل هذا الأمر على الابتسام. ولكن إذا عرفنا أن الكلاب تنبح في بعض الأحيان في «القمر»، لحملنا الأمر على محمل الجد. والكلب إذا رأى أحدًا من الناس أو شيئًا من الأشياء يروقه فإنه يهز له ذنبه. وإذا كان ما يراه لا يروقه أو يخيفه، فإنه ينبح فيه أو يزمجر له. وعلى ذلك يكون هذا الكلب قد رأى حقًا «شيئًا» في السماء.. شيئًا غير عادي. ولو كان طائرة عادية، لما جعله ذلك يواصل النباح بتلك الشدة.

الفصل الثاني

أمسكوا الأطباق .. لكن لا تطلقوا عليها النار!

ذهبت في اليوم التالي إلى النادي حيث اجتمعت بالطيار ريوردان. وبعد أن طلبنا من الجرسون طعام العشاء، قدمت إلى ريوردان التقارير التي لم يكن قد اطلع عليها بعد. وكان آخر ما قرأه يتعلق بحادث لاريدو. وتبين منه أن الملازم إريل فوجل كان من قائدي الطائرات النفاثة ومن أكثر الطيارين تجربة.

وفي ليلة ٤ ديسمبر كان يقود طائرة من طراز ف – ٥١، ولكنه لم يستطع أن يصل بسرعة طائرته إلى أكثر من ٦٨٠ كيلو مترًا في الساعة. وفي الثامنة مساءً والدقيقة ٤٩، بعد ساعتين من طيران تدريبي، اتصل فوجل ببرج المراقبة في لاريدو وطلب الإذن بالهبوط. ولما كانت هناك عدة طائرات نفاثة يجب أن تهبط قبله، فقد طلب إليه أن يدور بطائرته خارج المنطقة المشغولة بالطائرات الأخرى.

وبينما كان فوجل يطير على ارتفاع ١٨٠٠ مترًا بعيدًا عن القاعدة بعدة أميال، لمح فجأة ضوءًا ساطعًا يتحرك بسرعة هائلة.

وظن في أول الأمر أن ما يراه كان نفاثة من قاذفات اللهب، ولكنه لم يلبث أن أدرك أنه لا توجد طائرة في استطاعتها أن تدور في دائرة بهذا الضيق.

ولما مال قليلًا على جانبه لكي يتمكن من رؤية الشيء، وجد أن الضوء يتخذ لونًا أزرق يثير العجب. وأخذت الألة الغامضة تطير في مستوى الطائرة، وقامت بعمل دوائر واسعة غير عادية، ثم، فجأة، ارتفعت في الجو. وفي بضع ثوان صعدت إلى ما يقرب من ٣٠٠٠ مترًا، ثم عادت ارتفاعها السابق.

ولم يصدق فوجل عينيه. فقد كانت تلك الآلة العجيبة تتحرك بسرعة بلغ من مداها أنه لم يكن يتبين منها غير الضوء الباهر. فصمم الملازم على أن يطير بأقصى سرعته مطاردًا الطبق الطائر الذي بدا أنه قد وقف في مكانه. وفي تلك اللحظة نفسها، تبين فوجل أنه ينقض عليه. ولم تترك السرعة الهائلة التي يتحرك بها ذلك الشيء لفوجل لكي ينثني بطائرته.

ولما كان الانفعال قد شل حركته وتفكيره، وتوقع الاصطدام القاتل خلال ثوان، فقد ظل يحدق في الشيء الذي كان مندفعًا نحوه. وعلى بُعد يقل عن كيلو متر واحد من الطائرة ف – ٥١، اهتز الطبق خلال جزء من الثانية، ومال قليلًا ثم مر بالقرب من الجناح الأيمن لطائرته بسرعة لم يذكر منها غير رؤيا باهتة.

وعندما نظر فوجل من فوق كتفه وهو فريسة للفزع والرعب، رأى ذلك الشيء يعود إلى الارتفاع في الجو، وعندما رآه يرتد ناحيته، أطفأ كل أنواره وهبط هبوطًا حلزونيًا في اندفاع يائس. ثم اختفى النور الأزرق في ظلام الليل...

وقرأ ريوردان مرة ثانية الجزء الخاص بمرور الطبق أمام طائرة فوجل، وغمغم قائلًا:

– لقد نجا بأعجوبة. إن الأمر يبدو كما لو كان طيرانًا تدريبيًا قبل شن الهجوم.

فسألته قائلًا:

– هل تظن أن تلك كانت آلة موجهة؟ ولم يدرك الذي يوجهها مدى الخطر أثناء هذا التوجيه.

– لست أميل كثيرًا إلى هذه الحكاية. إنه من المحتمل في أحد الأيام أن تصطدم هذه الآلات بإحدى الطائرات إذا لم يكن ذلك قد حدث فعلًا.

لقد وقعت حوادث عجيبة في هذه السنوات الأخيرة. خذ مثلًا حادث الطائرة دث – ٤ من شركة نورث ويست للخطوط الجوية، تلك الطائرة التي سقطت في بحيرة ميتشجان.

وسكت ريوردان عندما رأى الجارسون قادمًا ليضع صحاف الطعام على مائدتنا، بينما أخذت أفكر في كارثة ميتشجان التي ألمح إليها

صديقي. فقد حدث في ٢٣ يونيو عام ١٩٥٠ قبيل منتصف الليل، أن الطائرة دث – ٤ وكانت تحمل ٥٨ شخصًا، حلقت فوق ميناء بنتون (ميتشجان). وكان الجو سيئًا للغاية.

وفجأة ظهر ضوء ساطع في السماء. وحسب قول شهود المأساة، كان يخيل للمرء أنها كرة من النار. ولكنها بقيت ظاهرة للعيان خلال فترة طويلة مما يبعد الظن بأنها يمكن أن تعزي إلى البرق.

وأيًا كان تفسير ذلك الضوء، فإن الركاب الثمانية والخمسين لقوا حتفهم. وكانت آخر رسالة بعثت بها الطائرة دث – ٤ بالراديو لا تحتوي على أية إشارة يمكن أن تفسر أسباب الكارثة. وفي اليوم التالي اكتشف خفر السواحل بقعة من الزيت تطفو على ماء البحيرة.

وظل الغطاسون التبعون للبحيرة ثماني وأربعين ساعة يفتشون في المياه على عمق ٤٥ مترًا.

وانتهى الأمر بهم أن تخلوا عن مواصلة البحث، تاركين الطائرة وركابها الثمانية والخمسين في لحدهم الموحل. وفي أثناء ذلك كان حطام الطائرة التي ابتلعتها المياه قد صعد إلى السطح. وكان يتكون من قطع ممزقة من الأغطية والملابس ووسائد المقاعد.. إلخ. ولكن لم يظهر أثر لأي من الضحايا، أو أي جزء من الطائرة يكون ذا حجم يسمح بالفحص الدقيق.

وعندما أصبحنا وحدنا من جديد، أدليت إلى ريوردام بخواطري. فقال:

– إنني أعرف أشخاصًا يقسمون بأن الطائرة دث – ٤ قد اصطدمت بطبق طائر. ثم أن فرانك إدوارد المعقب على الأنباء في الراديو..لقد صرح إدوارد بأن التحقيق عن الكارثة بدا له غريبًا.

– نعم.. إنه مقتنع بأن المحققين كان يجب عليهم أن يواصلوا بحثهم على أن يجدوا تعليلًا. وإني أتساءل لماذا لم يفعلوا؟ إنني أعرف جيدًا أن هذه التحقيقات تكلف نفقات باهظة، ولكن كان يجب عليهم أن يواصلوا عمليات الغطس خلال عدة أسابيع.

– لقد صدر تصريح بأنه من غير المستطاع إعطاء جواب شاف. والشيء الذي يثير الفضول لدي، هو الحالة المحزنة التي بدت فيها الأغطية والقطع الممزقة، كما لو أن جسمًا ما صدم الطائرة بقوة مخيفة. من المحتمل كذلك أن تكون الطائرة قد انقضت عليها صاعقة...

وظللنا دقيقة أو اثنتين صامتين. وكان صاحبي يتناول طعامه بينما يقرأ تقرير فوجل. وقلت أنا ملاحظًا:

– من المؤسف أنه لم يستطع أن يعطي تفصيلات أكثر.

فقال ريوردان معقبًا وهو يدمدم:

– إنك تتحدث كضباط في المخابرات. ها هو ذا طيار هبط بعد أن نجا من الموت بأعجوبة. وقبل أن يتناول كوبًا من الماء يسترد بها

أنفاسه، يضيق عليها الخناق بالأسئلة: هل كان دائريًا؟ بيضاويًا؟ ماذا كان بداخله؟ ما رأيك فيه؟

وسكت ريوردان. وكان على المائدة المجاورة ثلاثة ضباط توقفوا عن الأكل. وكان من الواضح أنهم ينصتون إلى حديثنا. وتابع ريوردان كلامه بصوت أكثر انخفاضًا، فقال:

– سأخبرك بشيء. إن إدارة المخابرات تفكر في الأطباق الطائرة تفكيرًا جديًا. ولكن الأمر الذي يدهشني، هو الطريقة التي يعرض بها بعض أفراد السلطات المسئولة تلك المسألة على الجمهور.

– لقد كانوا مضطرين إلى ذلك...

فأتى ريوردان حركة عصبية تدل على نفاذ الصبر وقال:

– من يظنون أنهم يخدعون؟ إذا كانت الأطباق ليس لها وجود، فلماذا لا ينفك يراها طيارون نابهون ومجربون ومدربون؟

– اسمع يا جيم. إنني لا أطلب إليك أن تفشي سرًا. ولكني أريد أن أعرف بم يحس المرء حين يأخذ في مطاردة طبق طائر.

– لابد أنك تعرف عن ذلك قدر ما أعرف. أنت طيار. أليس كذلك؟

ولم يحر ريوردان جوابًا. ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يتهرب فيها طيار من هذا السؤال. فكثير منهم وصفوا الآلة كما رأوها، ولكنهم بدوا دائمًا متحفظين تجاه المشاعر التي خالجتهم.

وكانت أدق معلومات حصلت عليها في ذلك الشأن، هي التي أدلى بها الملازم جورج جورمان عندما قص على مسامعي تفاصيل مغامرة له في فارجو. ففي خلال تلك الليلة الجنونية، اندفع شيء مضيء نحو طائرة جورمان من طراز ف – ٥١ فهبط بطريق الانقضاض في الوقت المناسب، متجنبًا الاصطدام بمسافة لا تعدو بضع مئات من الأقدام.

«لقد راودتني خلال برهة قصيرة الفكرة بأن أصدمه، ولكن شجاعتي خانتني في اللحظة الأخيرة. إنني لم أحس بخوف شديد من «الشيء» ولو كان أكثر ضخامة أو لو كنت رأيت جسمًا صلبًا خلف الضوء ربما كنت قد خفت».

وبعد حديثي مع جورمان بمدة. قابلت قائد طائرة ركاب كان قد رأى طبقًا من على قرب وقص على مغامرته فقال:

«عندما يكون هناك عدد كبير من المسافرين في الطائرة فإن الإنسان يفقد الرغبة في المزاح.

وفي إحدى الليالي، رأيت أسطوانة برتقالية اللون ذات حجم كبير – تبدو كما لو كانت معدنًا مصهورًا – وكانت تطير بالقرب من طائرتي. وقد تبعتنا لمسافة عدة كيلو مترات.

وفي كل مرة حاولت أن أقوم بمناورة للإفلات من هذه المطاردة، كانت الإسطوانة تدور في الحال وتعود إلى اللحاق بنا.

وحدث نفس الشيء عندما حاولت الارتفاع، ولم يخالجني في أول الأمر غير إحساس بانذهال، ثم أدركت أننا لا نملك أية وسيلة للدفاع في حالة ما إذا كان «الشيء» – أيًا كان نوعه – ينتوي مهاجمتنا.

وقد قضيت أنا ومساعدي لحظة مرعبة – دامت خمس دقائق – إلى أن ارتفعت الأسطوانة في الجو وتركتنا لشأننا؟. وقد قلت في نفسي أن الأطباق الطائرة هي آلات صديقة ولكنني مع ذلك كنت أتمنى بكل جوارحي أن تذهب للطيران بعيدًا عنا».

وكثيرًا ماساءلت نفسي ماذا كان أثر موت مانتيل علي طياري السلاح الجوي الأمريكي الذين كلفوا بمطاردة الأطباق الطائرة.

– لو كنت في مكان فوجل وكانت طائرتك مزودة بالسلاح، هل كنت تطلق مدافعك على «الشيء»؟

فأجاب ريوردان قائلًا بلهجة جافة:

– كلا، كنت أبقى في مكاني وأقتصر على أداء صلاتي الأخيرة. فمن ذا الذي يعرف أية أسلحة لدى آلة من هذا النوع؟ لماذا لا تكون لديها قنبلة طائرة؟ فإذا أطلقت مدافعي عليها، فإن هذه الآلة قد تنفجر في وجهي.

وكنا قد انتهينا من تناول طعامنا، وتوجهنا نحو نادي الضباط فعدت إلى محاولة إغراء ريوردان على الكلام. فقلت له:

– ليست لدي نية ذكر اسمك يا جيم. ولكني أعتقد أنه من المناسب أن يعرف الجمهور أن مسألة مطاردة الأطباق الطائرة تلك لا يجب أن تؤخذ ببساطة.

فحتى الآن، كل ما استطاع الناس أن يقرؤوه في إحدى الصحف هو حديث طيار أعلن فيه أن «الشيء» قام بدورة سريعة واقترب من طائرته، ولكنه لم يستطع أن يميز شيئًا لأن الضوء بهره. وفي هذا ما يطمئن الناس. ولكن الوقت حان لكي يحمل الأمر على محمل الجد.

وضع ريوردان غليونه بين أسنانه وجذب نفسًا طويلًا ثم قال وهو يخرج الدخان من أنفه:

– حسنًا فلنفترض أنك تقود طائرة نفاثة ف – ٩٤، ومعك عامل رادار يجلس خلفك. وناداك برج المراقبة. فإن جهاز الرادار لديه، وهو أقوى من جهازك، سجل وجود «شيء» غير عادي يقوم بدورات في دائرة ضيقة جدًا، ويتحرك بسرعة تنفي أنه طائرة. ثم يصدر إليك الأمر: أنك أمام طبق طائر.

والمسألة ليست مسألة مطاردة عادية للجهاز. ففي مطاردة عادية للطائرات الأخرى، أنت تعرف ما الذي يجب عليك عمله. أنه بمجرد أن تصبح الطائرة في متناول أسلحتك، تطلق عليها النيران. ولكن فيما يختص بالأطباق، هناك أوامر صريحة: حاول الاستيلاء عليها، ولكن لا تطلق عليها النيران إلا إذا تأكدت من نياتها العدائية.

وكنت أنا أعرف كل ذلك قبل أن يخبرني به ريوردان الذي تابع كلامه قائلًا:

– وفجأة تلمح ضوءًا يتحرك بسرعة تفوق سرعة أية طائرة. ويسجل جهاز الرادار لديك أيضًا نفس الظاهرة. فتقوم بمطاردة الطبق. وفي نفس اللحظة تتلقى إشارة من الأرض بأن طائرتك والشيء الآخر قد كشف عنهما الرادار. فأنت تصبح إذن مقتنعًا تمامًا بأنك حيال ظاهرة حقيقة وليس ظاهرة جوية ناشئة عن انعكاس الضوء.

ويحتم عليك واجبك الاقتراب الشيء أكثر ما يمكن. ومن يدري؟ فلربما تقف على شيء جديد تجهله إدارة المخابرات. ويقوم الطبق الطائر برسم دوائر في الجو أو يهديء من سرعته

– فمن غير ذلك لن تستطيع أبدًا أن تنافسه في السرعة، حتى لو طرت بأقصى ما لديك. ثم فجأة، يرسم الطبق نصف دائرة «استعراضية» لا يمكن لأية طائرة أن تقوم بها، ويتجه نحوك. ها أنت ذا قد أصبحت مكشوفًا، وأنت لاتحس بكثير من الاطمئنان.

ثم توقف ريوردان لحظة ونظر إلى نظرة ساخرة وقال:

– يبدو لك ذلك الأمر مبالغًا فيه. أليس كذلك؟ قائد بطائرة قتال يجلس خلف مدفعه من عيار ٥٠ ملليمترًا، ويخاف من ضوء في الظلام. ماذا ترى الآن؟ إن الضوء يقوم بعمل دورة سريعة. إن سرعة الطبق يبلغ من مداها أنك تصاب بتشنج في عضلات العنق لو حاولت متابعته

بنظرك. وقد تميز تمييزًا مبهمًا شكلًا من الأشكال خلف الضوء، ولكن علي أي حال، أنت عاجز عن تقدير حجمه، لأنك لا تستطيع أن تتبين المسافة التي تفصلك عنه.

كان غليون ريوردان قد انطفأ. فنشق قليلًا فيه ثم أخذ يفرغه من الرماد. واستأنف الكلام:

– هناك شيء مؤكد. لدى رؤية الإنسان الطريقة التي يتحرك بها الطبق الطائرة لا يصبح هناك مجال للشك في أنه خاضع لقيادة ذكية. ولابد أن يكون به – في شكل من الأشكال – عين تلفيزية، الأمر الذي يجعلك تشعر بأنك مراقب، حتى من مسافة بعيدة جدًا. إنه إحساس عجيب حقًا. في تلك اللحظة يكون كل ما يتمناه هو أن تتمكن من مشاهدة الشيء في وضح النهار، حتى تصبح لديك فكرة صادقة عنه.

وأخيرًا يختفي الطبق بسرعة يبلغ من مداها أن الإحساس يخالجك بأن طائرتك واقفة في مكانها. وعند وصولك إلى الأرض ينهال رجال المخابرات بالأسئلة المزعجة. وينتهي الأمر بالمزاح والتندر بهذه الحكاية، ولا أحد يفكر في الرعب الذي سرى إلى فؤادك.

وهز ريوردان كتفيه ثم نهض وهو يقول:

– لقد سبق أن قلت لك أن هذه الحكاية تبدو سخيفة عندما تروى هكذا.

أما أنا فلم أعتقد على الإطلاق بأنها سخيفة. فالخوف من المجهول، في مثل هذه الظروف، وهو شيء عادي حتى لدى طيارين مدربين مجربين.

***

الدجاج يؤكد حقيقة الأطباق الطائرة

لقد روينا كيف أنه حدث في كندا أن كلبًا استرعى انتباه صاحبه بنباحه نحو آلة طائرة. ولكن في جاياك في فرنسا لم يكن الذي أعطى الإنذار كلبًا، وإنما... فراخ!

ففي ٢٧ أكتوبر ١٩٥٢، في الساعة الرابعة بعد الظهر، سمعت مدام دور القاطنة بشارع تولوز، دجاجتها «تكاكي» وتصيح بشكل غريب فرفعت رأسها بدافع غريزي، ظنًا منها أن نسرًا أو أحد الطيور الجارحة يحلق فوق المزرعة، فأثار الفزع في حظيرتها. ولكنها وجدت «أشياء» لا عهد لها بها تتحرك في السماء. وجاء ولدها وزجته وصهره مهرولين، كما سارع إلى المكان بعض الجيران.

كانت آلات الطائرة تلمع في الشمس، وقد جاءت من الجنوب الشرقي وكانت تدور ببطء حول نفسها، وهي «اثنين اثنين». ورأى الشهود في أول الأمر أربعًا منها، ثم إليها اثنتا عشرة اسطوانة أخرى وفي وسط هذه «الأشياء» كان هناك كالسيجار الطويل طائر يميل لونه إلى البياض، يتحرك وهو ينفث سحابة من «الدخان» الأبيض.

ومن سحابة الدخان كانت تنفصل قطع من مادة ليفية كانت تتحلل بالملامسة (فإن عددًا كبيرًا من الأشخاص لمسوا هذه المادة)، ثم تتلاشى في الحال وقد تعلقت بعض هذه الخيوط بأعمدة التلغراف وأغصان الأشجار. وكان من بين شهود الحادث إثنان من رجال البوليس، «لمسا الخيوط» الغامضة التي تساقطت من الأطباق الطائرة.

المهم في الأمر أنه إذا لم يكن هناك حقًا «شيء» مادي في السماء، ما كانت فراخ مدام دور تخضع لحالة الذعر التي انتابتها. وشأنها في ذلك شأن الكلب الذي روينا قصته. ولايمكن أن تتهم الفراخ بأنها واسعة الخيال.

إن «شهادتها» (التي أبدتها في شكل نوبة فزع) لا تقبل الطعن.

الفصل الثالث

الجدال الضخم حول الأطباق الطائرة

لكي نفهم المشكلة التي تعرض للطيران الأمريكي علينا أن نبحث في الوقائع التي كانت الأصل في تلك العقد النفسية التي نشأت بشأن الأطباق الطائرة.

إن أول ملاحظات رسمية يرجع تاريخها إلى عام ١٩٤٤ ففي أثناء الحرب، التقى مئات من الطيارين الأمريكيين بالأجسام الغامضة الاسطوانية اللامعة فوق أوروبا والشرق الأقصى. وقد سميت «كرات النار» أو «المقاتلات الأشباح»، وكانت تتحرك منعزلة أو في مجموعات. وبدا الأمر كما لو كانت تراقب سير المعارك الجوية، وكانت تصحب قاذفاتنا ومقاتلاتنا من غير انقطاع، وتدور حولها بسرعة هائلة. وفي أول الأمر، اتجه الظن إلى أنها تتبع النازيين، ثم، بعد أن انتهت الحرب، قامت إدارة المخابرات بعمل تحقيق. فلم يوجد في أي مكان أثر لآلات مماثلة. و كان الطيارون الألمانيون واليابانيون أنفسهم في حيرة من أمر هذه «الطائرات الأشباح».

وفي عام ١٩٤٥، وصلت عدة تقارير إلى السلاح الجوي الأمريكي يسجل كل منها لقاءً عجيبًا مع هذه الأطباق. وسميت «ظواهر تعزي إلى خداع البصر». واستمرت الحال هكذا حتى ٢٤ يونيو عام ١٩٤٧.

ففي ذلك اليوم أثار طيار لطائرة خاصة اسمه كينيث أرنولد الزوبعة التي أصبحت تعرف باسم الأطباق الطائرة.

فبينما كان يطير بالقرب من مونت رينير (ولاية واشنجتون) لمح تسعة أطباق كبيرة براقة، وكانت تتنقل في شكل طابور وقدر قطر الاسطوانة بثلاثين مترًا بالتقريب، وسرعتها بحوالي ١٩٠٠ كيلو مترًا في الساعة.

ومن المؤسف حقًا أن أرنلود أطلق على هذه الأجسام ذلك الاسم السخيف «الأطباق الطائرة» ولكن اصطلاح «الاسطوانات الطائرة» أو «الأجسام المجهولة» كان يكون أكثر مطابقة، ولكان من شأنه أن اتجهت المسألة اتجاهًا آخر.

وبعد نشر حديث كينيث بأيام، انهالت التقارير التي تتضمن وجود هذه الأجسام العجيبة من كل مكان في أراضي الولايات المتحدة. وفي بعض الحالات، كانت المسألة لا تعدو أن تكون خدعة لا أكثر ولا أقل وفي حالات أخرى كانت عبارة عن مجرد هلوسة ووهم، ولكن البعض منها تتضمن وقائع تلقي بعض الضوء.

وقد قرر طيارون ملحقون بقاعدة موروك الجوية أنهم رأوا اسطوانات فضية اللون ترسم دوائر في الجو بسرعة خارقة. ورأى أعضاء طاقم طائرة لشركة اليونيتد للخطوط الجوية – وكانوا متشككيين في الأمر حتى ذلك الوقت – تشكيلات من الاسطوانات تطير فوق إيميت (إيداهو).

وفي موروك والقواعد الجوية الأخرى، خشى رؤساء القاعدة أن يكون ذلك سلاحًا سريًا روسيًا، فأمروا بأن تكون أسراب المقاتلات في حالة استعداد للطوارىء.

وعندما وصل تقرير طاقم طائرة اليونيتد إلى واشنجتون أخذ الناطق بلسان وزارة الدفاع الأمر بخفة وقال: «لا فائدة من عمل تحقيق. الأطباق الطائرة ما هي إلا نتيجة هلوسة».

في ذلك الوقت سجلت رؤية الأطباق الطائرة في كل مكان في العالم تقريبًا وقد سعت جماعة من الضباط بإدارة المخابرات لدى السلاح الجوي الأمريكي للقيام بتحقيق في سرية تامة.

ومع ذلك، ما كانوا لينجحوا في ذلك المسعى لولا أن الكابتين مانتيل اختفى في ظروف غامضة تبعث على الريبة. ففي ٧ يناير عام ١٩٤٨ بعد الظهر، شاهد مئات من الناس من سكان ماديسون فيل (كينكي) ثم آلاف من المواطنين في نفس الولاية، جسمًا ضخمًا اسطوانيًا ولامعًا. ونبه بوليس الولاية فورت كنوكس. وكان قطر الآلة كما بدا لهم – ٧٥ مترًا على الأقل.

وبعد نصف ساعة، ظهر «الشيء» فوق قاعدة جودمان الجوية على مقربة من فورت كنوكس، وكان أحيانًا يبدو أحمر اللون داكنًا، وأحيانًا أبيض وأخذ يتحرك فوق الأرض.

وفي نفس الوقت، كان الكابتين توماس مانتيل وثلاثة طيارون آخرون يقومون بطيران تدريبي في الطائرة ف – ٥١ فأرسل برج المراقبة في جودمان، إشارة إلى مانتيل، وهو طيار حربي قديم، طالبًا إليه أن يقوم بمطاردة الاسطوانة.

واخترقت الطائرة طبقة من السحب المتفرقة، وبعد بضع دقائق، اتصل مانتيل ببرج المراقبة وقال:

– لقد رأيت «الشيء». وهو يبدو كاسطوانة معدنية ضخمة جدًا. إنه الآن يبدأ في الصعود.

ومرت لحظة صمت. ثم استأنف الصوت قائلًا:

– الشيء يطير فوقي دائمًا. إنه يتحرك بنفس سرعة طائرتي إن لم يكن أسرع. إنني أرتفع إلى ٦٠٠٠ مترًا، وإذا لم أتمكن من اللحاق به فسأتخلى عن المطاردة.

ومضت اللحظات.. ونادى البرج مانتيل، من غير طائل. وبعد بضع ساعات، في آخر النهار، وجدت جثته بجوار حطام الطائرة، على بعد ١٤٤ كيلو مترًا من أرض المطار.

وزعم شاهد عيان بأنه رأى الطائرة ف – ٥١ تنفجر في أثناء طيرانها. ولم تكن هناك إية أمارة تدل على أن الطائرة اشتعلت بالنيران، كل ما حدث أن أجزاءها تفككت قبل أن تصطدم بالأرض.

وفي اليوم التالي، نشرت بعض الصحف «قصة المطاردة القاتلة للإطباق الطائرة»، وبدأت الإشاعات تنتشر. فقال البعض أن جسد مانتيل اخترقته أشعة خفية. وأشاع البعض الآخر بأن جثة الطيار لم يعثر لها على أثر، وأنها اختفت بفعل زائر من كوكب آخر.

وبعد وقوع الحادث بقليل، ألفت إدارة المخابرات في السلاح الجوي الأمريكي أول لجنة تحقيق وكان اسمها «ساين». وكانت فضلًا عن ضباط المخابرات، تجمع عددًا من الأخصائيين في الصواريخ، ومهندسين في الطيران، وعلماء في الفلك. وكلفت اللجنة التي بقي أمرها سرًا في أول الأمر، بإيجاد حل لذلك اللغز.

وفي ٢٨ يوليو عام ١٩٤٨ جاء طياران من شركة الايسترن للخطوط الجوية وهما الكابتين شايلز والملازم هويتيد لأعضاء هذه اللجنة بمشكلة جديدة غامضة من أجل إيجاد حل لها. فقد كانا يطيران بالقرب من مونتجومري في الساعة الثانية صباحًا والدقيق ٤٥، عندما لمحا آلة براقة في شكل سيجار، تتحرك في اتجاههما بسرعة.

وصرح الكابتين شايلز بعد ذلك قائلًا:

– كنت أطير متجهًا إلى الجنوب الشرقي عندما اندفع «الشيء» نحونا. فحولت اتجاهي. فحول اتجاهه كذلك، ومر على بعد ٢٠٠ متر منا، إلى اليمين.

وزعم الطياران بأنهما شاهدا صفوفًا من الفتحات كالنوافذ، وأكدا أن ضوءًا أزرق قويًا كان يلمع في داخل الآلة، ضوءًا ناتجًا بلا شك عن وسيلة ما مجهولة من وسائل الدفع وكانت سرعته حسب أقوالهما، تتراوح بين ٨٠٠، ١١٠٠ كيلو متر في الساعة.

وقد شوهد هذا الطبق الطائر الغامض كذلك في سماء روبنيزفيلد بالقرب من ماسون (جورجيا)، وفيما عدا «النوافذ» أيد وصف الشهود تقرير الطيارين.

وطوال سنة ١٩٤٨، وفي شتاء سنة ١٩٤٩، لم ينقطع سيل التقارير. فقد لمح طيارون آخرون أشياء براقة فوق اليابان وألمانيا ولابرادور. وأيدت لوحات الرادار هذه المشاهدات. ولكن هذه التقارير لم تكن تذاع على الجمهور، وضعف الاهتمام بالأطباق الطائرة.

وفي ربيع عام ١٩٤٩ بدأ «كين بيردي» وهو رئيس تحرير المجلة الأمريكية «ترو» تحقيقًا خاصًا طلب إلى أن أساهم فيه. وسنحت لي الفرصة بذلك لأن أدخل في علاقة مع الليفتنانت كولونيل ديويث سيرلز المختص بقسم الصحافة في السلاح الجوي الأمريكي.

ودرسنا أنا وسيرلز بدقة أول تقرير للجنة، حيث اعترفت إدارة المخابرات بعجزها عن تفسير الظواهر التي شاهدها مانشيل وشايلز وهويتيد وجورمان.

كما أنها اعترفت فيه باحتمال مجيء أطباق من كواكب أخرى مثل المريخ والزهرة، ولكن سلاح الطيران أضاف إلى ذلك أنه من غير المحتمل أن هذه الأشياء تمت بأصلها إلى خارج منظومتنا الشمسية.

وانتهى التقرير إلى أن «الأطباق» ليست هزلًا، ولكنها لا يجب أن تكون سببًا للذعر.

ولما كنت في ذلك الوقت أقوم بتحقيق خاص لحسابي اتصلت بطيارين شاهدوا الأطباق، وبصانعي الصواريخ، وأطباء عسكريين، وضباط من واشنجتون كنت قد تعرفت بهم عندما كنت طالبًا في كلية البوليس. وكان من بينهم بولستر وهو المدير الحالي لقسم الأبحاث في سلاح البحرية، وردًا على سؤالي قال لي:

– دون، إنني أشهد وأؤكد لك بأن هذه الآلات ليست من أصل أمريكي، إنني أعرف كل برامج صناعة الأسلحة الخاصة. ولو كانت هذه الأطباق من بينها لكنت قد عرفت ذلك. ومن الممكن استخدام بالونات مماثلة التي تستخدم في دراسة الأشعة الكونية يفسر لنا بعض الوقائع ولكن تقارير الطيارين الحربيين لا تجد لها تفسيرًا.

وعندما قابلت فارني، وهو ضابط آخر كان رئيس برنامج الآلات الموجهة بالراديو في البحرية، قال:

– لو بلغنا ذلك في أحد الأيام، فإننا لن نكون مجانين لكي نقوم بتجاربنا على مقربة من المناطق الأهلة بالسكان أو في الطرق الجوية

المطروقة. إن تجارب الأسلحة السرية تجري في البحر أو في مناطق غير مأهولة.

وفي الحالة الأولى نتحقق أولًا بأنه لا توجد أية سفينة في المنطقة. ولنعد إلى «الأطباق». إنني أتمنى أن تملكها أمريكا. ففي حالة الهجوم تكون تلك وسيلة مثالية للدفاع.

فعدت أقول:

– في عام ١٩٤٧، زعم بعض الضباط أن هذه الآلات من أصل سوفييتي.

– في الواقع هذا شيء غير ممكن. وهذا الاعتقاد كان منشؤه افتراضًا مبدئيًا، لم يلبث أن صرف عنه النظر. ثم أنه في عام ١٩٤٧، لم يكن الروس قد بلغوا تقدمًا مماثلًا لما أحرزناه في الميدان الفني أيًا كان عدد العلماء الألمان الذين أخذوهم إلى الاتحاد السوفييتي.

كلا، إن المشكلة تتخذ وجهة أخرى: إما إن «الأطباق» أسطورة، وفي هذه الحالة لست أرى كيف يمكن تفسير المشاهدات التي حدثت. وإما أنها تكون قادمة من كوكب آخر.

وقد شوهدت بعد ذلك «أطباق» جديدة فوق تركيا، وبيروت والمكسيك وكوبا،.... ولكن إزاء القلق المتزايد، كان من الأفضل إنكار هذه الوقائع رسميًا.

وكانت الحقيقة صارخة: إن القواعد الجوية، والمدن الكبيرة، والصناعات المهمة، والمراكز الاقتصادية الأمريكية، كانت كلها خاضعة لمراقبة دقيقة. وحتى ذلك الوقت أمكن التمييز بين نوعين من «الأطباق»: النوع الأول ويتميز بألوان ملونة دوارة، والثاني ويتميز بأضواء قوية تخبو وتنطفيء. فهل كانت تلك إشارات، أو محاولة للإتصال بالأرض؟

وأن يكون هناك أناس تمكنوا من حل مشكلة الطيران بين الكواكب ولست لديهم طريقة ما لنقل الرسائل بالراديو على نمط طريقتنا لشيء يبدو عجبًا حقًا. ومع ذلك فإنه لا يوجد أي عامل من عمال الراديو التقط أية إشارة أو أي صوت خارج الأصوات العادية.

وفي هذه الأحوال لم يكن أمام الطيران الأمريكي غير حل واحد: هو الانتظار. وصدر إلى كل محطات الالتقاط في الأرض تنبيه: لو ظهرت أطباق فيجب الكشف عنها والاهتداء إليها في الحال. وإذا كانت هناك فرصة لقطع الطريق عليها في الجو فعلى الطائرات النفاثة أن تصعد تؤًا في الفضاء. وعلى الطيارين أن يجمعوا أكثر ما يمكن جمعه من المعلومات.

كان هناك إذن أمل في الكشف عن أسباب الزيادة المفاجئة في النشاط الذي تبديه هذه «الأشياء». ولكن السلاح الجوي الأمريكي فكر في كل شيء، إلا في شيء واحد: هو الطلبات التي تقدمت بها الصحف من أجل الإيضاح والتفسير.

الفصل الرابع

أزمة يوليو

في خلال الأسبوعين الأولين من يوليو عام ١٩٥٢، ازدياد في «الطيران الاستطلاعي للأطباق الطائرة». وكانت تلك الآلات العجيبة التي شوهدت في كل مكان في العالم تطير آحادًا أو جماعات. وكان معظمها يطير في الليل.

ومن ٨ إلى ١٢ يوليو عام ١٩٥٢، بدا أن مجموعة من «الأطباق» تهتم اهتمامًا خاصًا بولايات الغرب. وفي ١١ يوليو غرقت مراقبة الاستعلامات في ايبسيلانتي (ميتشيجان) تحت سيل من التقارير عن الملاحظات والمشاهدات وكان معظمها صادرًا من طيارين في السلاح الجوي الأمريكي. ونجحت إدارة المخابرات في المحافظة على السرية التامة. ولم تكف الرسائل عن الوصول إلى واشنجتون وإلى دايتون. ونظر ضباط المخابرات إلى هذه المسألة بقلق متزايد. وفي أول الأمر اتجه ظنهم إلى أنها بمثابة إنذار وقتي، ولكن عدد المشاهدات والتقارير أخذ يزاداد ساعة بعد أخرى.

ما هو السبب في هذا الظهور المفاجيء للأطباق الطائرة في أعداد ضخمة؟ لقد ظل الأمر مجهولًا.

هل كان ذلك غارة استطلاعية على نطاق واسع كمقدمة لعملية حاسمة؟ هل كان مجرد عملية اتصال قبل الغزو؟ على أي حال كان ذلك كافيًا لإثارة المخاوف. ولقد ظلت السطات المسئولة خلال خمس سنوات تلزم الصمت عن عمد بشأن النوايا المحتملة للذين يمتطون الأطباق الطائرة. وعرضت أسئلة جديدة الآن: هل المقصود هو هبوط سلمي أو صراع حتى الموت؟

وبالنسبة للصمت الذي ألتزمته الجهات الرسمية، كان من المحتمل أن غارات «الأطباق» تبلغ نهايتها قبل أن يتنبه الجمهور إليها. ولم تصل كل تقارير المشاهدات، فيما عدا اثنين منها، إلى علم أحد سوى السلاح الجوي الأمريكي.

ففي ٥ يوليو انتشر خبر مؤداه أن عدة طيارين رأوا آلة في شكل اسطوانة تطير على مقربة من المصنع الذري في ريتشلاند في ولاية واشنجتون.

وفضلًا عن ذلك كشفت رسالة من كوريا عن وقائع شاهدها ضباط في البحرية الكندية، ففي خلال أكثر من ساعة شاهدوا أسطوانة تطير فوقهم بينما كانوا في عرض البحر.

وفيما عدا هذين الاستثنائين ظلت جميع الوقائع والمشاهدات الأخرى في طي الكتمان. حتى الصحفيين المعتمدين لدى السلطات الرسمية لم يتبينوا شيئًا غير أن التوتر في ازدياد.

وفي ١٢ يوليو وصلت إلى واشنجتون رسالة لم تلبث أن «خنقت» شأنها شأن غيرها.

وكان مؤداها أنه في نفس ذلك اليوم في الساعة التاسعة مساء، مر «طبق» منعزل يشع منه ضوء مائل للزرقة وكأنه إعصار، فوق ولاية إنديانا. وقد شاهده كثير من السكان في دلفي.

وكان أحد هؤلاء المشاهدين طيار قديم لطائرة نفاثة في الطيران الحربي، فتوجه في الحال إلى مركز البوليس للتبليغ عن الواقعة. وأخذ بوليس الولاية يجمع العناصر اللازمة لإرسالها إلى السلاح الجوي الأمريكي.

وظل ضباط المخابرات خلال أربع وعشرين ساعة في حالة انتظار وتوقع. ولكن في الليلة التالية، انفجرت القنبلة.

لقد حدثت الظاهرة في إنديانا بوليس، وكان ذلك في مساء يوم السبت وكان هناك جمهور كبير يملأ الشوارع والحدائق. وفجأة ظهر ضوء أصفر ساطع في السماء.

ورفع السكان المُنذهلون أعينهم ورأوا آلة في شكل مستطيل تظهر في الجنوب الشرقي، وتمر فوق المدينة على ارتفاع يقل عن ٨٠٠٠ مترًا. وكانت تتبعها سحابة من النار. وقد شهد هذه الظاهرة آلاف من الأشخاص.

وبعد دقيقتين أخذت المكالمات والنداءات تنهال من السكان المذعورين على البوليس والمطار وعاملات التليفون في الصحف. وسارع آلاف آخرون إلى تنبيه جيرانهم الذين لم يكونوا قد رأوا شيئًا. وبدا في إحدى اللحظات أن الذعر سينتشر، ثم لما لم يعد «الطبق» إلى الظهور ثانية، أخذ الهدوء يعود شيئًا فشيئًا.

وهكذا للمرة الأولى ظهرت آلة غامضة فوق مدينة كبيرة، وكانت تطير على ارتفاع منخفض سمح لآلاف الشهود برؤيتها. وحتى ذلك الوقت كانت إدارة المخابرات تتساءل عما عساه يحدث عندما يرى الناس أحد هذه الأطباق عن قرب نسبي. والآن لقد جاءها الجواب.

وعم الانفعال إنديانا بوليس. وكان الناس يوجهون الأسئلة إلى بعضهم البعض. وكانت كل الأسئلة تظل من غير جواب. من أين جاءت الآلة؟من كان يقودها؟ لماذا هبطت إلى هذا الارتفاع المنخفض؟.

لحسن الحظ حال قصر الوقت الذي استغرقه ظهورها، ثم اختفاؤها في الحال نتيجة لسرعتها الخارقة، دون تحول القلق إلى ذعر. بينما أنه لو كان «الطبق» قد قام بعمل دورات، أو لو أنه هبط لأخذ الناس يولون الأدبار في هلع.

وفي اليوم التالي كانت أمريكا كلها عالمة بما جرى في اليوم السابق في إنديانا بوليس. ولكن لم يكن ذلك غير البداية.

وفي الليلة التالية، بينما كان السلاح الجوي الأمريكي مستمرًا في تسجيل رد الفعل لدى سكان ولايات الغرب، أحدثت مشاهدة أخرى أثر قنبلة ثانية. وفي هذه المرة، وقعت الظاهرة فوق ولايات الشرق.

ففي الساعة التاسعة والدقيقة ١٢ صباحًا، كانت طائرة د.ث – ٤ من شركة البانامريكان تتجه نحو ميامي، وقد اقتربت من نورفولك (فرجينيا)، وكان قائد الطائرة يدعى «ناش» ومساعده فورتنبيري. وكانت الطائرة على ارتفاع ٢٤٠٠ مترًا، وقد أصبحت على بعد بضعة كيلو مترات من نيوبورت، عندما ألفت أمامها نورًا أحمر.

ورأى الطيار ومساعده ست اسطوانات ضخمة، تندفع نحوها، ولكن على ارتفاع أكثر انخفاضًا. ولما كانت الآلات تطير في وضع أفقي، فقد بدت متأججة، حتى أنه ليقال إنها من معدن في حالة انصهار.

واقتربت الاسطوانات، وهي في صف واحد. وهدأ الذي كان في المقدمة من سرعته ثم تحول عن وضعه إلى وضع عمودي. وكما لو كانت «الأطباق» الخمسة الأخرى تنفذ إشارة جاءتها فإنها قامت بنفس المناورة.

ثم عادت الآلة الأمامية إلى الوضع الأفقي، واتجهت نحو الغرب. ففعلت الاسطوانات الأخرى نفس الأمر، وبعد ثانية واحدة، ظهر طبقان آخران تحت جسم الطائرة. وأسرعا للحاق بالمجموعة.

ولاحظ الطياران التغير الذي طرأ على لونهما فمن داكن أصبح فاتحًا. كما أنه في اللحظة التي هدأت فيها الاسطوانات الست من سرعتها قبل تغيير الاتجاه أصبح لونها داكنًا، ولم تسترد لونها الأول عندما زادت سرعتها. وكانت هذه الملاحظة ثمينة من حيث من المعلومات التي تتصل بطريقة الدفع.

وحيث أن الذهول والانزعاج استوليا على الطيارين بسبب ما رأياه، فقد أبلغا الأمر إلى مطار نورفولك بالراديو، وأعطيا تفصيلات اللقاء. ولكن، بينما كان ضباط المخابرات ينتظروهما في مطار ميامي، كانت وكالات الأنباء تنقل الخبر.

وبعد اثني عشر ساعة صادف طيار اثنين من هذه «الأطباق» بالقرب من نيوبورت. وفي نفس الليلة رأى بعض ضباط البحرية آلة أخرى. ثم نشرت الصحف لقاء من دنفير (كولورادو).

وهكذا كانت الأطباق الطائرة تستأثر بأخبار الصفحة الأولى للمرة الثالثة في خلال ثلاثة أيام.

كذلك شوهدت في ١٨ يوليو عام ١٩٥٣ أسطوانات أخرى فوق فيرونيكا بواسطة مئات من الناس. وفي ١٨ يوليو هذا طلبت صحيفة اليونيتد بريس في دايتون إلى الكابتين إيد روبيلت أن يدلي بحديث لمخبرها الصحفي. ولكن تعليمات الجنرال سامفورد مدير المخابرات كانت صريحة: لا أحاديث صحفية، ومع ذلك، فقد رأى إيد روبيلت

نفسه في موقف إلزام أدبي بأن يجيب على الأسئلة. فإن رفض الإجابة في تلك اللحظة كان لا يؤدي إلى شيء غير بلبلة الخواطر.

ووجه المخبر الصحفي السؤال الآتي:

– هل يعتقد السلاح الجوي الأمريكي بأن هذه الرؤى ليست غير مظاهر هلوسة؟

– كلا. نحن معتقدون بأن الشهود قد رأوا فعلًا جسمًا في السماء. ولكننا نجهل طبيعته ،اصله.

واعترف روبيلت في إجابته على سؤال آخر، بأن بعض المقاتلات النفاثة المجهة بالرادار طاردت الأطباق الطائرة. ولكن لم تتمكن أية طائرة من اللحاق بها. ثم أضاف قائلًا:

– لقد طوردت اسطوانات كانت تطير بسرعة ٢٦٠٠ كيلو مترًا في الساعة.

ولقد كانت هذ الإجابات الصريحة. ولكن الاستحالة التي وجد روبيلت نفسه فيها من حيث إمكان تحديد طبيعة الأطباق الطائرة وأصلها أثارت صعوبات جديدة.

ولما كان هناك عدد كبير من الصحفيين تستحوذ عليهم الفكرة الآخاذة التي بمقتضاها تكون هذه الآلات صناعة روسية، فقد كتبوا يقولون إنه من العبث البحث عن مفتاح اللغز في ناحية أخرى.

وكان هناك مقال قد ظهر في ٢٨ يونيو عام ١٩٥٢ في صحيفة «ساربروكر تسايتنج» يدعم هذه النظرية. فقد أعلن ظهور اسطوانة معدنية ضخمة في سماء سبيتزبيرج.

وحسب ما جاء في المقال، كان ستة من الطيارين النرويجيين يقودون طائرة نفاثة، ويحلقون فوق مضيق هينلوبين عندما حدث تشويش لإذاعات الراديو لديهم بسبب تداخل أصوات غريبة.

وبينما كان التشكيل يرسم دائرة في الفضاء باحثًا عن سبب الظاهرة، لمح رئيسه الكابتين أولاف لارسين أسطوانة ضخمة مصنوعة من المعدن ذات لون أزرق، وهي ترقد في وسط الجليد.

واستقل عدة ضباط من سلاح الطيران في النرويج يصحبهم أخصائي في الصواريخ اسمه نورسيل، طائرات مزودة بجهاز التزحلق على الجليد وهبطوا بالقرب من «الشيء» فوجدوه خاليًا.

ثم – حسب قول صحيفة ساربوكر دائمًا – كانت الاسطوانة وقطرها ٣٨ مترًا مصنوعة من معدن مجهول. وكانت في وسطها كابينة تحتوي على عدة أجهزة للتوجيه. وكان أحد هذه الأجهزة هو منشأ الأصوات التي عملت تشويش الإذاعة في أجهزة الراديو في طائرات الكابتن لارسين. ووجد أنه في أثناء الطيران كانت «الكورونة» الخارجية تلف حول الكابينة المركزية التي لا تتحرك.

وفكت أجزاء الاسطوانة التي تبين أنها تسير بطريقة الدفع، ونقلت إلى نارفيك. وبالفحص اكتشفت الخبراء الحقائق التالية: مدى العمل ٢٨٩٠٠ كيلو مترًا. أقصى ارتفاع ١٦٠ كيلو مترًا. وأخيرًا، كانت الاسطوانة مصممة لنقل كمية ضخمة من المتفجرات.

ثم جاءت عبارة، كانت – إذا نظرنا إلى الظروف القائمة – قمينة بأن تضع الكبريت على البارود. والعبارة هي:

«كانت الآلات ومقاييس السرعة والزمن تحمل تعليمات مكتوبة باللغة الروسية.. وعلى ذلك فلا يسع المرء إلا أن يفترض بأن الاسطوانة جاءت من الاتحاد السوفيتي. وأن سقوطها يرجع إلى عطل في جهاز تلقي الإشارات بالراديو»..

ولم يصدق أحد في السلاح الجوي الأمريكي هذه الحكاية. ومع ذلك بحثت المعلومات كالعادة. وكما كان هو المنتظر، أنكرت الحكومة النرويجية علمها بالحادث أو بوجود الاسطوانة. ولكن الشر قد وقع.

فإن كثيرًا الذين يجهلون التكذيب النرويجي، أخذوا يقابلون بين «الاكتشاف» المزعوم وبين التحذير الذي سبق أن أصدره الدكتور ميراكب، وهو عالم كان يشتغل لحساب الطيران الأمريكي، وتنبأ بحادث بيرل هاربور جديد يكون أشد هولًا من سابقه.

وهكذا أخذت العقدة النفسية للأطباق الطائرة تنتشر.

وفي ٢٠ يوليو في الصباح، جاء دور واشنجتون. وكانت الظاهر ذات أهمية بالنسبة للعاصمة وضواحيها، وبالأخص مركز المراقبة الجوية في ميناء واشنجتون الجوي. وهذا المركز على اتصال دائم ببرج المراقبة في المطار. وهو يشغل بناء منعزلًا يقوم على بعد ٤٠٠ مترًا من البرج. وموظفوه يشرفون على عملية ارتفاع الطائرات في الجو واقترابها وهبوطها.

كما أن لديهم معدات رادار تمكنهم من تتبع الطائرات في مدى الطائرات في مدى يمتد إلى ١٦٠ كيلو مترًا. وهم الذين يوجهونها في الفضاء عندما يكون الجو صافيًا،ويرشدونها إلى ممرات الاقتراب، ويوزعونها بعد صعودها في الجو في الارتفاعات المختلفة لكي يحولوا دون احتشادها في مساحة جوية محدودة.

وأخيرًا في الجو الذي يغشاه الضباب، وفي حالة العواصف أو الطيران المنخفضة، توجه الطائرات بالراديو بواسطة حزمتين من الموجات. وعندئذ يطير الطيارون «على العمياني» أي بدون الاعتماد على الرؤية. وإذا اقتضى الأمر، يصدر إليهم برج المراقبة الأمر بالقيام بدورات، وانتظار دورهم في الهبوط. وهذا عمل دقيق، حيث أن المراقبين لا يرون الطائرات التي يوجهونها إلا على لوحة الرادار.

وتتوقف حياة الآلاف من البشر على سرعة رد الفعل في المراكز العصبية لدى أولئك الرجال. فإن جزءًا من الثانية يكفيهم للتحقق من البقع المميزة التي تقابل الطرز المختلفة من الطائرات.

ومركز الرادار الذي وقعت فه الحلقة الرئيسية، ضعيف الإنارة، حتى تسهل المراقبة على اللوحة.

وفي ليلة ١٩ – ٢٠ يوليو في منتصف الليل، دخل ثمانية مراقبين ورئيسهم هاري بارنيس إلى قاعة المراقبة حيث حلت دوريتهم. وكانت الليلة صافية، وحركة المرور في الجو ضئيلة واستعد الرجال الثمانية لساعات حراستهم الثماني.

وفحص بارنيس اللوحة الرئيسية، وهي عبارة عن لوح من الزجاج، دائري وفوسفوري، قطره ٦٠ سنتيمترًا، يشع وميضًا بنفسجيًا باهتًا وهناك خط أرجواني – المؤشر أو الدليل – يدور باستمرار في اتجاه عقرب الساعة بسرعة ست دورات في الدقيقة. وفي الوقت نفسه يتحرك السلك الهوائي «الإيريل» فوق قاعدته على تل قريب.

ويتبين اتجاه حزمة الموجات التي تكنس السماء بواسطة المؤشر. وفي كل مرة تلتقي الموجة منها بطائرة يلتقط السلك الهوائي المعد للإستقبال، الصدى مبكرًا.

فتظهر بقعة صغيرة مستديرة على لوحة الرادار. وفي كل عشر ثوان، يبين خط أحمر جديد تغير موضع الطائرة، وتعاقب هذه الخطوط يسمح بتتبع خط سيرها. وتتتابع سبعة خطوط قبل أن يكون الخط الأول قد اختفى.

ولما كان بارنيس مراقبًا مجربًا فإنه يستطيع أن يقدر سرعة الطائرة حسب الفواصل التي تفصل بين البقع الحمراء. كما أنه بالاستعانة بمقاييس على اللوحة يستطيع أن يحدد موضع الطائرة ومدى بعدها بالنسبة للمطار.

وفي ذلك المساء كانت السماء خالية تقريبًا. بعد أن انتصف الليل بنصف ساعة، غادر بارنيس مركزه وذهب إلى مكتبه كمشرف عام. وحل المراقب إيد نوجنت محله أمام اللوحة الرئيسية. وكان هناك معه مراقبان آخران، هما جيم ريتشي وجيمس كوبلاند.

وبعد منتصف الليل بأربعين دقيقة تمامًا، ظهرت سبعة خطوط واضحة تمام الوضوح. فثبت نوجنت بصره على لوحة الرادار. إن «الطائرات» بدت كما لو كانت قد برزت من العدم. ووصلت الآلات المجهولة بسرعة خيالية. وها هي ذي واضحة مرئية.

فصرخ نوجنت في كوبلاند: «أسرع! قل لبارنيس أن يحضر!».

فجاء بارنيس على عجل. وكان جهازا الرادار الجانبيان يبنيان نفس الخطوط.

وفي الحال نادى بارنيس برج المراقبة، فرد عليه عامل الراديو هوارد كوكلان قائلًا:

– إن الرادار يبين عندنا نفس الأشياء. إني أرى واحدًا منها. ويصدر عنه ضياء عجيب برتقالي اللون، ولكني أجهل ما يختفي وراءه.

فنبه بارنيس بالتليفون إدارة الدفاع الجوي، ثم عاد أمام اللوحة الرئيسية. لقد تفرقت الأشياء المجهولة. وكان اثنان منها يحلقان فوق البيت الأبيض وثالث يطير بالقرب من الكابيتول. وهاتان منطقتان محرمتان ونادى بارنيس وهو لا يزال يحدق في اللوحة مطار أندرو فليد الذي يقع في ولاية ماريلاند. فرد عليه عامل رادار قائلًا:

– إننا نتتبعها.

– هل سترسلون طائرات مطاردة؟

– كلا، إن طائراتنا النفاثة في نيوكاسيل.

فرد بارنيس السماعة إلى موضعها. واستمرء شاغلو مركز المراقبة خلال بضع دقائق يتتبعون «الأطباق» بأعينهم. وفجأة، رأى المراقب جيم ريتشي واحدًا منها يطير على نفس الارتفاع الذي تطير عليه طائرة «كابيتال» كانت قد ارتفعت عن الأرض.

وبدون إضاعة ثانية واحدة، نبه قائدها الكابتن بيرمان، وبين له موضع الشيء ثم وجه الطائرة نحوه. وحتى ذلك الوقت كانت الآلة محافظة على سرعة ٣٠٠ كيلو مترًا في الساعة وفجأة – الشيء الذي أصاب المراقبين بالذهول – كفت الخطوط عن التتابع وفي الموضع الذي كان يجب منطقيًا أن يظهر فيه الخط التالي، لم يظهر شيء وبعد بضع ثوان، أرسل بيرمان إشارة يقول فيها: لقد رأيت «الشيء» ولكنه

اختفى قبل أن أقترب منه. لقد صعد واختفى في الفضاء في برهة تتراوح بين ثلاث وخمس ثوان.

ونظر المراقبون إلى بعضهم في ذهول. ومع ذلك فتفسير ذلك بسيط، حتى ولو كان غير قابل للتصديق: لقد خرج «الطبق» من نطاق موجة الرادار، في خلال الوقت الذي يقوم فيه «المؤشر» بعمل دورة واحدة على اللوحة. وبمعنى آخر انتقلت السرعة من ٢٠٠ إلى ٨٠٠ كيلو مترًا في الساعة في أربع ثوان.

ومن ناحية أخرى سجل برج المراقبة بأن العامل جو زاكو كان يثبت نظره في لوحة الرادار – التي تسمح بتتبع الطائرات التي تطير بسرعة كبيرة – عندما ظهر فجأة «طبق» ينتقل بسرعة خارقة. وكاد يغمى على زاكو من الذهول عندما رأى الصورة تعبر اللوحة من الطرف إلى الطرف الآخر.

وعندما اختفت الخطوط نادى زاكو زميله كوكلان، وحسبا سويًا سرعة الآلة فظهر إنها ٣٢٠٠ مترًا في الثانية، أي ١١٥٠٠ كيلو مترًا في الساعة. ولسبب غير معلوم، لم ترتفع الطائرات النفاثة بعد في الجو. فمُنذ ساعتين و«الأطباق» تدور فوق واشنجتون وبدأ المراقبون يعيل صبرهم.

وهذه الأطباق، هل كانت تقوم بغارة استطلاعية مثلًا فوق الولايات المتحدة؟ إن تحركاتها كانت تدل على أنها موجهة – هذا إذا لم تكن مشغولة ومقادة – بمخلوقات ذكية.

وقبيل الساعة الثالثة صباحًا، وصلت المقاتلات التابعة للسلاح الجوي الأمريكي إلى واشنجتون. ولكن «الأطباق» كانت قد اختفت كما لو كانت قد لمحتها أو التقطت إتصالها بالراديو مع مركز المراقبة.

وبعد خمس دقائق من رحيل المقاتلات، عادت الأطباق إلى الظهور ثانية وانتشرت في سماء واشنجتون. ولم تكف عن القيام بدوريتها إلا عند الفجر. ولحسن الحظ، اختفت قبل استيقاظ سكان واشنجتون، وإلا فإن الانفعال كان يكون عميقًا.

وفي أول الأمر حاول السلاح الجوي الأمريكي أن يخفي حقيقة الوقائع وخلال عدة أيام ظل الضباط يصدرون التكذيبات. ولم يتردد أحد المتحدثين بلسان السلطات الرسمية في أن يؤكد بأن أجهزة الرادار في مركز المراقبة كان بها خلل. وأعلن أخر أنه لم ترسل أية طائرة من المقاتلات لمطاردتها. والحكمة في ذلك أن يقوم هذا كدليل على أن الحادث لم يكن بذي أهمية.

وانهال سيل من البرقيات والمكالمات التليفونية وآلاف الرسائل على وزارة الدفاع. وتحت ضغط الناخبين تطالب أعضاء الكونجرس اتخاذ تدابير سريعة. وأصرت الصحف وكذلك المعقبون في الراديو على ضرورة عقد مؤتمر صحفي.

وهكذا وجدت إدارة المخابرات نفسها في موقف دقيق. فلو أنها اعترفت بوجود «الأطباق»، فإن مثل هذا التصريح سيجعل الموقف أكثر

خطورة. وعلى ذلك لم يكن أمامه ما تفعله سوى أن ترفض الإدلاء بأي شيء إلى أن تكف الأشياء الغامضة عن غاراتها.

ولكن كلما سجلت عودة أحدها إلى الظهور، كلما زاد توتر الموقف، وتجدد الخوف من أسلحة سرية روسية. ونشرت صحيفة الساندي جرافيك اللندية إن اسطوانية معدنية شوهدت بالقرب من هازلباخ (ألمانيا)، وحيث أن «الشيء» ظهر في المنطقة الروسية، فقد استنتجت الصحيفة أن المسألة تتعلق بسلاح روسي.

وتفصيل الأمر أنه في صيف ١٩٥٢، روت صحيفة «الساندي جرافيك» اللندية، في الأسبوع الأول من شهر يوليو، شهادة مثيرة أدلى بها الماجور السابق في سلاح الطيران الألماني – أوسكار لينكه – وكان قد «آثر الحرية» وفر من ألمانيا الشرقية. وهذه هي القصة على لسان لينكه:

– كنت عائدًا إلى بيتي راكبًا الموتوسيكل ومعي ابنتي جابرييل البالغة من العمر ١١ عامًا. وبالقرب من قرية «هازلباخ» انفجرت أحد الإطارات، فاضطررت إلى السي على قدمي، ودفع الموتوسيكل بيدي. وفجأة أشارت ابنتي إلى «شيء» على بعد ١٥٠ متر في الغابة. وظننت في أول الأمر أنها ما رأته كان ظبيًا، وحاولت الاقتراب منه في حذر. ولكني لم ألبث أن توقفت، وقد صعقت من فرط الذهول. فقد لمحت بين الشجيرات مخلوقين يشابهان البشر، وكانا يرتديان حلة غريبة معدنية، ويبدو عليهما أنهما يفحصان حولهما قطعة من أرض فضاء في الغابة.

وعلى مقربة منهما كانت هناك على الأرض اسطوانة غريبة الشكل مصنوعة من معدن ذي لون وردي، يبلغ قطرها حوالي ثمانية أمتار! وعلى محيط دائرتها، ميزت بوضوح صفًا من الفتحات.

وإذ استولى عليَّ الذهول، ناديت ابنتي التي كانت قد ظلت بجوار الموتوسيكل. ولكن الضوضاء التي أحدثها صوتي، اندفع «المخلوقان» ذوو السترة المعدنية نحو آلتهما، ودخلا فيها.

وكان أحدهما يحمل فوق صدره شيئًا مماثلًا لمصباح كهربائي يرسل أضواء في فترات منتظمة.

(ويمكن للمرء أن يتصور أن هذا الشيء المماثل للمصباح كان: إما آلة فوتوغرافية ترسل إلى الطبق الصور التي تلتقط أوتوماتيكيًا بواسطة حاملها، وأما جهازًا ينشيء اتصالًا دائمًا بين الرجل الكوكبي الهابط على الأرض وزميله الذي بقي في الطبق، فماذا حدث و«أسر» هذا الرجل الكوكبي وزميله، أو وقع لهما حادث أثناء القيام بمهمتهما على الأرض، فإن الاتصال التلفزيوني الذي يصلهما بآلتهما، يسمح لزملائهما بتتبع حركاتهما، وتدخلهم إذا اقتضى الأمر).

ولنعد إلى قصة أوسكار لينكه!

– وبعد بضع ثوان، أخذ محيط الاسطوانة الذي به الفتحات يهتز، كما لو أن ذلك حدث نتيجة لنار داخلية قوية. وتحول سطح الآلة إلى

اللون الأخضر، ثم إلى اللون الأحمر القاني، بحيث أصبح في لون المعدن المصهور، وكانت تصاحب هذا التحول اللوني دمدمة خفيفة.

ثم أخذت الآلة تدور حول نفسها بسرعة متزايدة، ثم ارتفعت عن سطح الأرض وهي تهتز وتدور. ثم وقفت فجأة في السماء. ثم اختفت بسرعة صاعقة خلف التلال.

وبالرغم من هذا الضغط فقد اصر الجنرال سامفورد في أول الأمر على عدم الإفضاء بأي تصريح. ثم انتهى به الأمر إلى الخضوع.

ولكن ما الذي كان يجب أن يقال؟ هل يلقي في روع الناس بأن الأطباق الطائرة سلاح سري أمريكي؟ ومع ذلك فليست هذه هي الحقيقة. ومثل هذا التصريح ينطوي على خطورة شديدة. فإن معنى ذلك أنه يكون من واجب الحكومة تخفيض اعتماداتها للصناعات الحربية. فإن الناس سيقولون أنه ما دام لديها سلاح مثل الطبق الطائر، فما فائدة قاذفات القنابل ولماذا تستمر في صنعها؟ لم يكن هناك تفكير مطلقًا في إعطاء مثل هذه الأجابة. لم يكن هناك غير تصرف واحد: كان ينبغي «هدم» أسطورة الأطباق الطائرة. وصمم سامفورد على ذلك، والحزن يملأ جوانحه. ولكنه كان يقول في نفسه أن تلك هي الوسيلة الوحيدة للحيلولة دون تسلط الذعر على الجماهير.

الفصل الخامس

فوق برميل من البارود

مُنذ عام ١٩٤٧ كان الجنرال سامفورد يعرف أن السلاح الجوي الأمريكي حاول عدة مرات أن يثبت عدم وجود أطباق طائرة. ولكنه كان في كل مرة يصطدم بصعوبات كثيرة. فكيف سيتمكن الآن من إثبات ذلك وتكون لديه أية فرصة للنجاح.

من الواضح أنه كان يستطيع أن يعلن بأن الأطباق الطائرة ظواهر غير عادي تخرج عن نطاق إدراكنا. ولكن هذا التفسير لم يكن ليفسر الحقيقة الثابتة بأن هذه الآلات تتصرف كما لو كانت موجهة. ومن ناحية أخرى كم من الصحفيين سيقبل هذه الإجابة بعد الذي حدث في سماء واشنجتون؟

كلا، يجب التفكير في شيء آخر لتفسير السرعة الخارقة لدى «الأطباق» وتحركاتها.

كانت هناك أيضًا نظرية مينزل في الظواهر الناجمة عن تغير درجة الحرارة، وهي نظرية يعرفها سامفورد ومعاونوه الفنيون، وتقوم على أساس وقائع معروفة لدى العلماء. فإن الهواء، كمبدأ، يبرد كلما زاد الارتفاع. ولكن يحدث في بعض الحالات، إن طبقات من الهواء الساخن توجد فوق طبقات من الهواء البارد.

وبما أن الأشعة الضوئية تنتقل بسرعة أقل في الوسط الأكثر كثافة، فإنه ينتج عن ذلك أنها تنكسر أو تنحرف عندما تنتقل من الهواء الساخن إلى الهواء البارد. وهذا هو السبب في حدوث السراب في الصحراء أو في الطرق البرية عندما تشتد الحرارة، وعندما يخيل لسائقي السيارات بأنهم يرون ماء أمامهم.

وكما هو الحال في الضوء، فإن موجات الرادار تنتقل ببطء يزيد كلما زادت كثافة الوسط. وهي تنحرف عن طريقها بمثل الطريقة التي تنحرف بها الأشعة الضوئية. وعندما يكون الصراع الناشب بين درجات الحرارة على درجة كافية من العنف، فإن أثر ذلك يكون حدوث ظاهرة الانكسار.

وإذا أخذنا بنظرية مينزل، يكون مشاهدو الأضواء التي تحدثها «الأطباق» قد خدعوا بظاهرة انكسار الضوء الصادر من الأرض أو الضوء الصادر من النجوم أو من القمر أو حتى من الشمس.

وقد فسرت هذه النظرية كذلك، ظهور الأطباق في الرادار بأنها أشياء في الأرض تلتقطها الموجات ثم تنحرف بسبب طبقات الهواء من درجات حرارة مختلفة، الأمر الذي يظهر فوق اللوحة تلك العلامات العجيبة.

وفسر مينزل السرعة الهائلة والتحركات الفجائية للأطباق بانكسار الأشعة التي ترسلها أشياء متحركة (سيارات أو قطارات). وإذا نظرنا إلى الحقيقة المعروفة بأن الهواء المخلخل يكسر الضوء أو موجات الرادار

بشكل غير متساو، لوجدنا أنه ينتج عن ذلك تأثيرات متحركة صادرة عن أشياء ثابتة.وقد رفض بعض كبار العلماء قبول هذه النظرية طوال شهر يوليو.

ولكن إذا كانت هذه النظرية تستطيع أن تفسر عددًا من الرؤى (٢% أو ٣% منها) فهي من ناحية أخرى لا تعطي مفتاح اللغز فيما يختص بما ظهر منها في واشنجتون. ولكن هذه الحقيقة أيضًا غابت عن الصحفيين. وبالنسبة للظروف القائمة كان هناك جواب واحد قادر على رد الهدوء إلى النفوس: وهو الاعتراف جزئيًا بحقيقة الظواهر على أن تعزى إلى عوامل طبيعية.

وهذا هو ما حاوله سامفورد في المؤتمر الصحفي الذي عقد في ٢٩ يوليو عام ١٩٥٢. ولكن الجنرال لم يرغب في مواجهة الصحفيين بمردهز. فألف لجنة تجمع عددًا من الخبراء والأخصائيين بين ضباط ومدنيين. وكذلك كان فيها الجنرال رامي وكان يرافقه عدد من هيئة أركان حربه.

وإلى آخر لحظة كان ضباط إدارة المخابرات يأملون في إلغاء المؤتمر الصحفي. ولكن ظهور الأطباق ظل في ازدياد. ففي نفس الصباح، شاهد عسكريون وبعض رجال البوليس من انديانا تحركات استعراضية للأطباق فوق انديانا بوليس. وبعد ثلاث ساعات. قام شيء مجهول بنوع من «الغارة الاستطلاعية» فوق المركز الذري في لوس آلاموس.

وبينت تقارير أخرى لإدارة المخابرات بأن يوم ٢٩ يوليو عام ١٩٥٢ هو تاريخ حاسم في قصة الأطباق الطائرة. فحوالي ظهر ذلك اليوم، كان لدى السلاح الجوي الأمريكي من الأسباب ما يثير لديه القلق. إذ حدث في الليلة السابقة إن وكالة الأنباء الدولية (إنترناشونال نيوز سيرفيس) ذكرت خبرًا عن أمر صادر من السلاح الجوي مؤداه أنه إذا لم تعر «الأطباق» اهتمامًا للأمر الذي يصدر إليها بالهبوط إلى الأرض، فيجب على الطيارين أن يفتحوا عليها النيران.

ولم يكد الناس يطلعون هذا الأمر حتى انهالت البرقيات من كل أنحاء البلاد تعترض على صدوره. وكان أهم اعتراض له مغزى خاص، هو من غير شك ذلك الذي صدر عن روبرت فارنسويرث رئيس الجمعية الأمريكية للصواريخ.

ولم يقتصر فارنسويرث على ذلك وإنما أرسل برقية أخرى إلى «البيت الأبيض» وسلم نسخة منها إلى اليونيتيد بريس لكي يثير البلاد ضد هذا الأمر. وكانت صيغة البرقية كما يلي:

«إنني أتقدم بكل احترام بهذا الاقتراح، وهو عدم توجيه أي هجوم ضد هذه الأشياء.. فإذا كان الأمر يتعلق بأشياء غير أرضية، فإن عملًا مثل هذا قد تكون له نتائج خطيرة، وبخاصة أنه يخلق لنا أعداء من مخلوقات تمت إلى قوى علوية. وإنما الذي ينبغي عمله هو محاولة القيام باتصال ودي أطول وقت ممكن».

وإزاء كل مظاهر رد الفعل تلك، تخلى الجنرال سامفورد عن آخر محاولة له بأن يؤجل المؤتمر الصحفي. فتأجيله كان سيترك أثرًا بالغ السوء. إذ أن الناس كانوا سيعتقدون أن التفسير الذي اهتدى إليه كان مرعبًا بشكل لا يستطاع معه إعلانه.

كانت الساعة حوالي الثانية عشر ظهرًا عندما اتصل بي ضابط من السلاح الجوي بالتليفون يخبرني بموعد انعقاد المؤتمر، وكان ذلك في الساعة الرابعة بعد الظهر. ومُنذ الثالثة والنصف كانت قاعة المؤتمرات قد امتلأت إلى النصف وقد عرفت من بين الحاضرين «ألين» المختص بشئون الطيران في صحيفة نيويورك هيرالد، و«جونا باك» المعقب في التليفزيون، و«كلاي بلير» من مجلة لايف، و«دوج لارسين» وكثيرًا من الصحفيين الآخرين. وفي الساعة الرابعة كانت القاعة قد امتلأت. ولم أشهد جوًا مماثلًا لذلك الذي كان سائدًا فيها، مُنذ اليوم الذي كشف فيه عن سر القنبلة الذرية.

ودخل الجنرال سامفورد في الموعد. والجنرال سامفورد رجل قوي البنية، يؤثر في كل من يراه ببريق عينيه الزرقاوتين وأمارات الدهاء والهدوء التي ترى على وجهه. لقد ولي منصب مدير إدارة المخابرات في السلاح الجوي الأمريكي عن جدارة.

وخلفه جاء الجنرال رامي الذي يبدو عليه مظهر الجد. ووزع مستشاروه أنفسهم على كل جانب من المنصة. لقد كان اجتماعًا من تلك الاجتماعات التي تترك أثرًا قويًا في النفوس وتثير فيها مشاعر

مختلفة. وكان روبيلت هو وحده الذي يبدي وجهًا مماثلًا في هدوئه لوجه الجنرال سامفورد، حيث أن الآخرين كانوا يبدون مظهر القلق. فقد كان عليهم أن يجلسوا خلال ساعة تقريبًا على فوهة بركان.

وكان من المحتمل أن سؤالًا واحدًا أو سؤالين صغيرين يضعان النار فوق البارود. ولم يكونوا هم يستطيعون شيئًا سوى الابتهال إلى الله بأن لا يتم توجيه هذين السؤالين.

وأخيرًا بدأ الجنرال تمهيده. وهو في الأحوال العادية ليس كثير الكلام، بل إنه مشهور بالإيجاز والوضوح. ولكن في مناسبة مثل هذه قد يكون للكلام الواضح والعبارات الموجزة أثر دراماتيكي. ولم يكن الجنرال حريصًا على أن يكون دراماتيكيًا في هذا اليوم.

ولذلك فقد بدأ الكلام بلهجة أكاديمية ونغمة عادية فقال:«إن السلاح الجوي الأمريكي أخذ على عاتقه أن يحقق ويحلل بعض الظواهر التي حدثت في الجو والتي قد تحمل في ذاتها تهديدًا لبلادنا. وهذا هو السبب في أنه يوجد مُنذ عام ١٩٤٧ فرع من فروع نشاطنا أطلقنا عليه اسم «لجنة ساين»، وقد أصبح الآن عبارة عن منظمة مكلفة بدراسة – تقارير يتفاوت عددها بين ألف وألفين وتدور حول المسألة التي تهمنا.

وبفضل هذه الأكداس من التقارير، أمكننا أن نفسر بعض المشاهدات التي كانت معتبرة غامضة حتى ذلك الوقت، بظواهر كهربية وجوية وبانكسار الأشعة الضوئية وأسباب أخرى كثيرة».

وكان الجو العام قد أصبح أقل توترًا مما كان عليه ف بدء الجلسة وبدت الأطباق الطائرة كأنما لم تعد تمت إلى الحقيقة. وقد اختار الجنرال سامفورد عباراته بعناية تامة لكي يوحي بهذا الشعور. ثم تابع أقواله بنفس اللهجة الأكاديمية والنغمة العادية قائلًا:

«ومع ذلك فإن عددًا من التقارير «حوالي ٢٠%» يمكن أن يوصف بأنه على درجة ما من الخطورة. ولذلك فيجب علينا أن ننظر إلى هذه الشهادات الأخيرة نظرة مختلفة. ولكني من ناحية أخرى أود أن أبين أن الصعوبة التي تصادفنا في فحصنا لهذه التقارير ترجع في المقام الأول إلى الحقيقة بأننا لا نملك أية وسيلة تسمح لنا بتحديد طبيعة هذه الأشياء ومصدرها».

ونظر بعض الصحفن إلى بعضهم البعض في دهشة. ولكن الجنرال تابع كلامه فقال:

«ولقد اهتممنا بهذه المسألة، ليس لمجرد الفضول العلمي، ولكن لأننا أردنا أن نكون واثقين من أن هذه الظواهر لا تحمل أي تبديد خطير لبلادنا. وفي المرحلة التي وصلنا إليها في دراستنا يمكننا أن نؤكد بأنه لا توجد واقعة واحدة تحملنا على الظن بأن خلف هذه الظواهر يكمن أي نوع من الخطر علينا».

وعندما بلغ الجنرال سامفورد هذا الموضع من خطابه، أدركت أنه وصل إلى النقطة الحرجة. لقد وقعت في يدي تقارير تبين العكس. ولكن سامفورد أخذ على عاتقه بأن يقضي على الشعور العام بالقلق. وبعد أن

أعاد الجنرال سامفورد إلى ذاكرة المستمعين الرؤى الغامضة في العصور القديمة، أعلن أنه على استعداد للإجابة على الأسئلة.

وقام دوج لارسين بتوجيه الهجوم الأول فسأل:

– هل ظهرت عدة مشاهدات مماثلة في محطات رادار مختلفة في نفس الوقت؟ ومن جهة أخرى، هل العلامات التي لوحظت على عدة لوحات رادار مختلفة كانت تتركز في نفس المنطقة؟

– فيما يختص بالمشاهدات التي حدثت في نفس الوقت، ليست تلك حالة نادرة. ولكن فما يختص بالسؤال الثاني، لسنا في موقف يمكننا من إعطاء إيضاحات مرضية.

وقبل أن يجد لارسين الوقت الكافي ليوجه سؤالًا جديدًا، طلب صحفي أحمر الشعر بعض إضاحات، فقال متسائلًا:

– هل الجنرال اتصل بضابط المخابرات الذي كان في الميناء الجوي الوطني عندما رأى بعض الشهود «قطاع الطرق» أولئك على لوحة الرادار؟

– نعم ياسيدي، بالتأكيد.

– هل تحدثت إلى أولئك الذين عرف أنهم لاحظوا نفس الظاهرة من مطار أندروز؟

– لم أتحدث إليهم شخصيًا، ولكن آخرين قاموا بذلك.

– في هذه الحالة هل في استطاعتك أن تخبرنا بما شاهدوه وتعطينا إيضاحات؟

لقد كان السؤال شائكًا، ولكن سامفورد لم يخرج عن نطاق هدوئه فقال:

– في إمكاننا أن نقتصر على مجرد احتمالات. فمُنذ سنوات، حدث أن اللوحة التقطت.. طيورًا أو أسرابًا من البط أثناء طيرانها. وإني أذكر أنه في أحد الأيام أخذ أحد هذه الأسراب كظاهرة غير محققة.

فسأل ذو الشعر الأحمر مرة أخرى:

– أين حدث ذلك يا جنرال؟

– لست أذكر تمامًا. ربما في اليابان.

وفي خلال الدقائق الخمسة التالية ضاع سؤال الصحفي في الجلسة العامة، ولكن جونر باك المعقب في التليفزيون عاد إلى الهجوم. فقال:

– يا جنرال سامفورد، أريد أن أعرف ماذا كان تفسير الخبراء للظواهر التي شوهدت على لوحة الرادار خلال ليلة السبت – الأحد؟

– لقد أعلنوا أن الالتقاط كان جيدًا.

– الأمر الذي يبين أن المسألة كانت تتعلق بأشياء صلبة مماثلة للطائرات؟

– كلا ليس بالضرورة. فإنه يحدث أن يحصل الإنسان على التقاط جيد مع طيور.

– ولكن العلامة التي شوهدت، فيما لو كانت لطائر، هل تكون أوضح من...

– نعم، في حالة ما إذا كان الطائر قريبًا.

– هل سجل الخبراء بأن الذي شوهد يحتمل أن يكون طيورًا؟

– كلا!

وفي الحقيقة أن الخبراء – كما علمت بعد ذلك – استبعدوا هذا الاحتمال بشكل قاطع.

واستمرت المناقشة هكذا إلى أن عاد الرجل ذو الشعر الأحمر إلى سؤال الكابتن جيمس:

– ماذا كان رأي الخبراء؟

ولكن الجنرال سامفورد هو الذي تولى الإجابة فقال:

– لقد أعلنوا بأن الالتقاط الذي تلقوه من الموجات كان جيدًا.

وعندئذ تخلى ذو الشعر الأحمر عن هجومه وهو في شبه ذهول. ولكن صحفيًا آخر قام بدوره في الهجوم:

– هل خرجوا ببعض النتائج عن طبيعة الظاهرة؟ هل كان من المحتمل مثلًا أن الأمر يتعلق بسحب؟

– لا أستطيع أن أقول شيئًا غير أن الالتقاط كان جيدًا.

– ولكن هل تظن أن المسألة لا تعدو أن تكون انكسارًا للأشعة سببه اختلاف درجة الحرارة أو ظواهر غير ملموسة؟

فابتسم الجنرال سامفورد وقال:

– نحن بالتأكيد في طريقنا إلى الحصول على معلومات أوفى عن هذه الظواهر ذات القيمة العلمية. ولكن ليس هناك شيء يحملنا على الظن بأن المسألة تتعلق بآلات أو صواريخ معادية لبلادنا.

وردًا على سؤال جديد ماكر وجهه أحد الصحفيين مشيرًا إلى الافتراض بأن الأمر قد يكون متعلقًا بزائرين من كواكب أخرى، استشهد

الجنرال بالحقيقة التالية وهي أنه لا يوجد فلكي واحد شاهد مثل هذه الظواهر بالرغم من أن السماء كانت تفتش دائمًا وتصور بوساطة هؤلاء العلماء.

وفي الحقيقة أن جواب سامفورد المبهم لم يكن يعبر عن الحقيقة الكاملة. ومن المحتمل أن الجنرال كان يجهل الأمر. ولكن الواقع أن كثيرًا من علماء الفلك سجلوا وجود أشياء غير عادية تتحرك في الفضاء بين أشياء غامضة تتنقل أمام القمر.

كان المؤتمر الصحفي قد استغرق ساعة. وكان معظم الصحفيين مشتاقين إلى الانتهاء منه لكي يسرعوا إلى مد صحفهم بنسخة مما وقع فيه، وعندما غادرت القاعة بدا لي أن أنصت إلى تعليقات بعضهم. فسمعت أحدهم وهو يقول بحدة:

– لم يسبق لي أن سمعت كلامًا بهذه الكثرة، وقفت منه على شيء بهذه القلة.

فقال له جاره:

– ماذا كنت تظن؟ وحتى لو كانوا يعرفون الكلمة الأخيرة للتاريخ فليس هذا هو الوقت الذي يبوحون فيه بالأسرار، بالنسبة لما قد يثيره ذلك من اضطراب بين الناس.

وعندما خلوت إلى نفسي فكرت في المؤتمر الذي حضرته مُنذ وهلة. وقد أصبحت الآن مقتنعًا بأن رجال المخابرات في السلاح الجوي أرغموا المتحدث على أن يكون كتومًا، بسبب أحداث يوليو. وبالطبع

لقد سلك هذا المسلك من أجل خير الوطن. وأدركت أن الجنرال لابد أنه قد اجتاز محنة شديدة.

ولكن تذكرت أيضًا أن كل ذلك كان من الممكن تجنبه لو أن السلاح الجوي الأمريكي كان مُنذ أول الأمر أطلع الجمهور على كل شيء.

وكان من العناوين التي وضعتها الصحف:

«السلاح الجوي الأمريكي يصف الأطباق بأنها ظواهر طبيعية».

«الأطباق الطائرة فوق العاصمة تعزي إلى الحرارة».

وأخيرًا علم من هارفارد أن الدكتور مينزل صرح بأن الأطباق الطائرة ستختفي عندما تنتهي موجة الحرارة.

الفصل السادس

مُشكلة عويصة تطلب حلًا

بعد عودتي من نيويورك تلقيت مكالمة تليفونية من كابتين في الـ T.W.A. وكنت أعرفه مُنذ وقت طويل فقال:

– إني أفترض أنك قرأت ما كتب عن المؤتمر الصحفي في السلاح الجوي

فقلت له:

– إنني كنت حاضرًا فيه.

فتابع كلامه قائلًا:

– إن طياري طائرات نقل الركاب غير راضين. فهم يعتقدون أن سلاح الطيران كان حسن النية عندما طلب إليهم تقديم تقارير عن مشاهدتهم للأطباق. ولكني أعتقد أن السلاح سينتظر طويلًا. ففي الليلة السابقة كانت إحدى طائراتنا تحلق فوق بحيرة ميتشيجان، عندما رأى قائد الطائرة ومساعدوه أسطوانة براقة.

وكان القائد يتهيأ لإبلاغ السلاح بأمرها، عندما علم بما حدث في المؤتمر. فأعلن في الحال لأعضاء الطاقم بأنهم إذا أبلغوا عما رأوه فإنه سيواجههم بتكذيب قاطع.

وبعد ذلك ببضعة أيام، تلقيت رسالة من طيار في شركة الايسترن يقول فيها: «مُنذ فترة لمح أحد رجالي جسمًا في شكل اسطوانة، يطير من أفق إلى آخر في مسافة ست دقائق. وكان الركاب جميعًا شهودًا على الظاهرة. ولكن قائد الطائرة رفض أن يقدم تقريرًا. وهو يخنقني لو أنني بحت باسمه». وفي أثناء ذلك، قمت بمحاولة أولى من أجل الحصول على محادثة صريحة مع السلاح الجوي الأمريكي. ولقد كنت عند تحقيقي السابق مُنذ عام مضى، أشتغلت مع الماجور باترسون من وزارة الدفاع الوطني. فطلبته في التليفون وعرضت عليه فكرتي، فقال:

– إن فكرتك طيبة كما يبدو لي. ويمكنك أن تتصل بشوب في إدارة الصحافة في السلاح الجوي. وهو يعرض المسألة على إدارة المخابرات.

ورفع باترسون سماعة تليفون آخر وطلب إدارة الصحافة. ولكن شوب لم يكن هناك. فقال محدثي:

– لابد أنه ذهب إلى بيته ليستريح قليلًا. لقد قضى فترة مضنية مُنذ أسبوع أو اثنين. فاقترحت عليه قائلا:

– ألا أستطيع في انتظار ذلك أن أتحدث إلى أخصائي في الرادار؟ إنني أرغب في توجيه بعض الأسئلة إليه:

– سأرى ماذا أستطيع عمله من أجلك. وبهذه المناسبة، لم ينته طلبك الذي تقدمت به إلى إدارة المخابرات إلى شيء، كما أعتقد.

– كلا، إنه الطلب العاشر لي. شكرًا على أي حال لمعاونتك إياي.

وبعد ساعة طلبني باترسون.

ولدهشتي الكبيرة، وجدت أنه نجح في الحصول من أجلي على موعد مع أخصائي في الرادار. في الساعة الواحدة بعد الظهر. وقال لي باترسون مفسرًا:

– إنه الكولونيل بويد في إدارة المخابرات. وسيقودك إليه كاي هامبتون الملحق بمكتبه.

ولسوء الحظ، برزت عقبة في نفس اللحظة التي قابلت فيها كاي هامبتون. فقد قال لي:

– إن الكولونيل طلب مني أن أنبهك إلى أمر. إنه سيفسر لك كل ما تريد معرفته عن الرادار واختلاف درجات الحرارة. ولكن مناقشة الأطباق الطائرة يجب أن تظل خارج الموضوع.

فصحت قائلًا:

– إذن ما فائدة رؤياه؟ إنه يعرف مع ذلك ماذا أنتظر منه.

فقال كاي هامبتون:

– آسف، ولكن من العبث ذكر الأطباق الطائرة.

– حسنًا. دعنا من ذلك. كان يجب أن أخمن شيئًا من هذا القبيل سيحدث.

وعند خروجي، مررت أمام مكتب الكولونيل بويد. وكان معه ضابطان آخران. فدخلت وقلت له:

– إني أتساءل عما إذا كنت تدرك مدى ضرر مثل هذا التصرف.

وكنت ألمح بذلك إلى طياري طائرات النقل.

وأردف قائلًا:

– أنتم تريدون أن يقدم الطيارون لكم تقاريرهم. وقد أعلن الجنرال سامفورد بأن علماء كبارًا مستعدون لدراسة المشاهدات التي تبلغ إليهم دراسة عميقة، وأنتم تحرصون على أن يكون لدى الطيارين ثقة في السلاح الجوي الأمريكي! إذن ما هذا الذي تفعلون؟ إنكم تضعون بكل بساطة أولئك الذين يؤمنون بوجود الأطباق الطائرة موضع السخرية!

ونظر الضابطان كل منهما إلى الآخر برهة، ولكن لم ينبس أحدهما ببنت شفة. فأردفت قائلًا:

– إنني أعترف بأني سببت لكم حتى الآن كثيرًا من المتاعب، ولكني أعدكم بالكف عن الكتابة عن الأطباق الطائرة في اليوم الذي تقدمون فيه لي أسباب معقولة تحملني على عدم الخوض في هذه المسألة. بل إنني عرضت أن ألتحق بالخدمة العاملة ليمكن تزويدي بالأدلة.

فأجابني الكولونيل بويد قائلًا:

– ولكننا لا نخفي شيئًا. إنك بلا شك الشخص الذي نود بالذات أن نقنعه.

فقلت له:

– حقًا أن لكم وسيلة عجيبة في محاولة إقناع الناس. ها هي ذي المرة العاشرة التي أطلب فيها من المخابرات أن تطلعني على التقارير. وفي كل مرة كانوا يتهربون مني. فإذا كانت «الأطباق» غير حقيقية وليست موجودة، فما السبب في «خنق» التقارير؟

فعاد الكولونيل يقول:

– إني أقول لك إن ذلك ليس من اختصاصي.

– لست أريد أن أتدخل فيما لا يعنيني، ولكني مقتنع بأن كل هذه المسألة لم توجه التوجيه الصحيح، وذلك المؤتمر الصحفي!.. لقد...

– هل ستكسب مقالًا في هذا المعنى؟

– هذا يتوقف..

– ولكني أؤكد لك أننا لا نخفي شيئًا.

ولم تكد تمر ساعة واحدة على انصرافي من عنده، حتى تلقيت مكالمة تليفونية من مكتبه تتضمن رجاءه بأن أذهب في اليوم التالي من أجل التحادث مع شوب.

ولم يستغرق حديثي مع شوب أقل من ثلاث ساعات. وقد سألني عما أريد، فأخبرته برغبتي في الاطلاع على تقارير المشاهدات التي تمت في آن واحد بالرؤية بالعين وبالرادار، والتي تكشف عن الغموض أكثر من غيرها...

وانتهى الحديث بيننا بأن قال:

– حسنًا، سأرى ماذا يمكنني عمله من أجلك، ولكن من المحتمل أن ننتظر بعض الوقت.

وبعد أسبوع من ذلك طلبني في التليفون، وقال:

– تعال لرؤيتي. عندي ثلاثة أو أربعة تقارير عن مشاهدات لدي الإذن بإطلاعك عليها.

وبالرغم من تشككي في الأمر، فقد ذهبت إليه وأنا مقتنع بأن السلاح الجوي لن يطلعني على أي تقرير يمكن أن يتعارض مع التصريحات الأخيرة سامفورد. ومن الجائز كذلك أن هذه التقارير قد «طبخت» حتى لا يستطيع المرء أن يخرج منها بنتيجة.

وقدمها لي شوب وهو يقول بلهجة جافة:

– خذ! هاك ما سوف يدهشك!

فأمسكت بأولها، وكان صادرًا من إدارة المخابرات، وقد أرسل حديثًا من قاعدة أونيدا الجوية في اليابان.

ففي ٥ أغسطس عام ١٩٥٢ قبيل منتصف الليل، إقترب طبق طائر في بطء من أرض المطار، وكان يبدو ظاهرًا فوق ضوء ساطع. وفي الحال سدد موظفو برج المراقبة مناظيرهم نحو الشيء الغامض الذي أخذ يتحرك خلال بضع دقائق بالقرب من البرج، ثم، فجأة، دار حول نفسه بسرعة خارقة.

وعندما اهتدت محطة الالتقاط ثانية إلى أثره، حدثت ظاهرة خارقة للعادة. فالشيء الغامض انقسم إلى ثلاثة أقسام كما لو أن الطبق الأول ولد طبقين آخرين.

وبينما كان الشهود المُنذهلون يتتبعون الآلات الثلاث بنظرهم، رأوها تبتعد بسرعة خارقة قدرت بحوالي ٥٥٥ كيلو مترًا في الساعة، وهي تحافظ على المسافة التي تفصل بين كل منها إلى أن اختفت في السماء.

ونظرت إلى شوب وأنا غير مصدق. ثم سألته قائلًا:

– وهل تصرح لي بنشر هذا؟ فأشار برأسه علامة الموافقة.

– ولكن هذا التقرير يقدم الدليل على أن الأطباق الطائرة الطائرة هي أشياء صلبة متحركة؟

فنظر إلى شوب نظرة طويلة ثم قال:

– يمكنك نشره ولكن على شرط.

وبعد أن توقف لحظة أردف قائلًا:

– نحن نحرص على ذكر أن طيارينا لا يفتحون النيران أبدًا على الأطباق الطائرة. لقد تلقينا آلاف البرقيات والرسائل من كل مكان في الولايات المتحدة. بل إن البعض ذهب في الأمر إلى حد الإبراق إلى رئيس الولايات المتحدة، يقول: «نستحلفكم بالله أن لا تطلقوا النيران على الأطباق الطائرة!» ولذلك فنحن نعتمد عليك.

وقرأت التقرير الثاني ثم الثالث ثم الرابع. وكانت الحالة المبينة في التقرير الرابع قد وقعت في ليلة ٢٩ يوليو بعد بضع ساعات من المؤتمر الصحفي الذي عقده الجنرال سامفورد.

ففي الساعة التاسعة مساءً والدقيقة ٣٠، ظهر فجأة «طبق» يصدر عنه ضوء أصفر فوق لوس آلاموس. وكانت تلك هي المرة الثانية التي يظهر فيها – في نفس العام – طبق طائر فوق مركز الطاقة الذرية.

وبعد مضي دقيقة، انصرف الطبق، وتحول من الأصفر إلى الأبيض وإذا أمكن إصدار حكم بالنظر إلى السرعة التي أخذ بها الضوء في النقصان، فلابد أن تكون السرعة التي كان يطير بها هائلة. وبعد خمس عشرة ثانية كان قد اختفى تمامًا.

فنظرت إلى شوب وقلت له:

– هذا دليل جديد على أن الأطباق تغير لونها. إني أعتقد أن لديك الآن عددًا كبيرًا من الشهادات في هذا المعنى. أقصد أن اللون يتغير وفق ازدياد سرعة الأطباق أو نقصانها.

– نعم، ولكن لا جديد في ذلك.

ثم حدجني بنظرة ذات مغزى وأردف قائلًا:

– هل لديك تفسير؟

– نعم، لقد سمعت عن شيء من هذا القبيل. والافتراض صاحبه مهندس يعمل لدى حكومة كندا وهو يرأس لجنة تحقيق خاصة بالأطباق الطائرة، وهو يفسر تغير الضوء وطريقة الدفع. فهل لديك علم بذلك؟

– هذا ممكن. لقد جاء كثير من الكنديين إلى هنا لمقارنة تقاريرهم بتقارير لجنة «الكتاب الأزرق». وقد تبادلنا المعلومات.

وكان التقرير الأخير صادرًا من رئاسة الدفاع الجوي في منطقة أوسكيولا، ويسكونسين، ويحمل تاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ففي الساعة الثانية والنصف صباحًا، كشف الرادار عن وجود عدة «أشياء مجهولة». وكما حدث في واشنجتون، لم تكن السرعة المبدئية للأطباق هي نفس السرعة خلال التحركات النهائية.

فإن معظم تلك الآلات كانت تطير بسرعة ١٠٠ كيلو مترًا في الساعة. ولكن تغير ذلك في الحال عندما صعدت الطائرة النفاثة في الجو. فقد زادت الآلة من سرعتها حتى أصبحت أكثر من ١٠٠٠ كيلو مترًا في الساعة. وعندما أصبحت على ارتفاع ٧٥٠٠ مترًا، ميز الطيار الأكثر اقترابًا منها عدة أضواء كانت تنتقل بسرعة في شرق سان بول «مينوسوتا».

وفي اسكيولا حاولوا تفسير الظاهرة بوابل من الشهب. ولكن عالمًا فلكيًا بين استحالة ذلك. فإن سرعة سقوط الشهاب من جهة، والسرعة المبدئية للآلات – ١٠٠ ك. م في الساعة – من جهة أخرى. يجعلان هذا الافتراض مضحكًا. وهكذا كانت الظواهر غير قابلة للتفسير مرة أخرى.

وقال لي شوب:

– هناك تقارير أخرى سوف أطلعك عليها فيما بعد.

وقد جهدت في أن أخفي مشاعري. وشكرت ألبرت شوب واستأذنت في الانصراف.

هذه التقارير قد أذهلتني فعلًا. فمُنذ أقل من شهر، وصف الجنرال سامفورد «الأطباق» بأنها «ظواهر غير ملموسة». والآن، تقرير أونيدا الذي يعطي وصفًا لجم طلب طبيعته مجهولة ويختفي خلف ضوء، يثبت العكس تمامًا.

فما هي الأسباب التي دعت إدارة المخابرات إلى إطلاعي على وثائقها – إطلاعي أنا وليس أحدًا غيري؟ لابد أن شوب قد تلقى الإذن من رؤسائه. وليس هناك أحد على أي حال يجرؤ على مخالفة أوامر الجنرال سامفورد. فما هو الحدث المجهول الذي كان السبب في هذا التحول الفجائي؟ ولأي الأسباب قرر السلاح الجوي أن يتعاون معي؟

أو أن الأمر حدث قبل بضعة أسابيع لاتجه ظني إلى مناورة مقصودة أو لعبة من أجل إخفاء وجود سلاح سري أمريكي. ولكن هذا الاحتمال أصبح الآن غير ذي موضوع. والتفسير الوحيد لذلك بدا لي أنه تبدل في سياسة السلاح الجوي. فمن المحتمل أنه قد قرر إعداد الجمهور بالتدريج لقبول حقيقة الأطباق الطائرة.

وبعد مضي بضعة أيام طلبت شوب في التليفون وقلت له:

– إنني أسألك شيئًا أبته على حتى الآن إدارة المخابرات. وهذا الشيء هو محادثة مع أخصائي في الرادار يعمل في السلاح الجوي الأمريكي.

ففكر شوب قليلًا ثم أجاب قائلًا:

– ستقابل الماجور لويس نورمان الابن، وهو ملحق بالمراقبة الجوية. ووارننج برانش وهو متخصص في دراسة فوارق درجة الحرارة.

وأعدت السماعة وأنا في دهشة. لقد كان يمكن القول حقًا بأن السلاح الجوي يريد متعمدًا أن يهدم نظرية البروفيسور مينزل. ومع ذلك فلم أكن أعرف ماذا في جعبة هؤلاء الناس.

وعند دخولي مكتب الماجور نورمان كنت أتوقع ترديدًا للحجج التي سمعتها في المؤتمر الصحفي. ولكن لم يحدث شيء من ذلك.

وبدأ الماجور نورفان، وهو رجل بشوش متزن، يعرف عمله جيدًا، الحديث قائلًا:

– ليس من المستحيل أن ظواهر انكسار حراري تكون هي منشأ بعض المشاهدات للأطباق الطائرة. ولكن لا تسألني في أية نسبة. فإنني عاجز عن الإجابة على هذا السؤال.

فسألته قائلًا:

– خبرني إذن، لتفسير المشاهدات التي حدثت في واشنجتون، طبقًا لهذه النظرية، ماذا كان يجب أن تكون عليه الأحوال الجوية؟.

– أولًا كان يجب أن تكون طبقات الجو مقلوبة ومضطربة. وفي هذه الحالة، من المحتمل أن يخيل للمرء أنه يرى آلة تتحرك سرعة فائقة وتقوم بتحركات فجائية.

– ولكن مصلحة الأرصاد في الميناء الجوي شهدت بأنها لم تلاحظ في ذلك اليوم أي اضطراب جوي. وحتى لو كان الأمر كذلك، فماذا كان يجب أن يكون عليه الفارق في درجة الحرارة.

– من خمس إلى عشر درجات سنتيجراد، أو من تسع إلى ثماني عشرة درجة فهرنهيت.

– هل تعرف كم كان الفرق في درجة الحرارة في الليلتين اللتين حدثت فيهما الظواهر؟.

– كلا، لم يطلب أحد مني أن أتأكد من الأمر.

– حسنًا، كان بالكاد درجة واحدة فهرنهيت في الليلة الأولى، ودرجتين في الليلة التالية.

وإذا كان الماجور نورمان قد دهش لهذا التصريح فإنه لم يدع هذه الدهشة تبدو عليه. وإنما سألني بكل بساطة:

– هل هي الأرقام الرسمية التي أذاعتها مصلحة الأرصاد؟

– بالضبط. هل تعتقد أن هذا الاختلاف في درجة الحرارة يمكن أن يفسر الظواهر؟

– كلا. على الأقل ظواهر واشنجتون.

وهكذا كان! إن الشيء الذي لا يكاد يصدقه العقل هو أن إدارة المخابرات في السلاح الجوي وخبراءها حاولوا مُنذ شهر واحد أن يفسروا ظواهر واشنجتون باختلاف درجة الحرارة. واليوم، يدحض المتحدث الرسمي باسم تلك الإدارة هذه النظرية.

وفي أثناء ذلك كانت تقارير المشاهدات لا تزال تنهال من كل مكان في القارة الأمريكية. ولكن المؤتمر الصحفي الذي عقده الجنرال سامفورد ترك أثره.

فإن الراديو كان يحضر أمام الميكروفون علماء نفسيين يرجعون رؤى الأطباق الطائرة إلى الخيال المضطرب. وأخذت عدة صحف تكيل عبارات السخرية والتهكم من الشهادات، وتصف شهود تلك الظواهر بالسذاجة والبساطة.

وقد كان لموقف السلاح الجوي الأمريكي الذي بدا فيه عدم الاكتراث نتيجة غير متوقعة. فقد أخذت جماعات عديدة من مدنيين

جديرين بالتقدير، تقوم بعمل تحقيقات شخصية عن الأطباق الطائرة. وكانت إحدى هذه الجماعات، وقد تسمت باسم «جماعة ديلاوار» تحت رياسة جنرال من الحرس الوطني، تتألف من طيارين مجريين ومهندسين في الطيران.

وتكونت لجنة تحقيق أخرى تحت رعاية جامعة آدا (أوهيو) واتخذت لنفسها اسم «مشروع أ» وكانت تشتمل على أقسام في الرياضة والفلك والكيمياء والطبيعة والكهرباء والميكانيكا وعلم النفس. ونشرت الصحف نظرية جديدة عن «الظواهرالطبيعية» قال بها مهندسان من شيكاغو. ووفقًا لهذه النظرية لم تكن الأطباق الطائرة غير جيوب من الهواء المشبع بذرات غازية مكهربة بتأثير إشعاعات حدثت نتيجة للانفجارات الذرية فوق أرض التجارب في نيفادا.

وعندما سنحت لي الفرصة لأتحدث إلى شوب عن هذه النظرية، ابتسم وقال:

– إنني أسأل الله أن يكون ذلك صحيحًا. وعندئذ يمكننا أن ندخر طائراتنا النفاثة، ونكشف للجمهور عن الحقيقة، ونطوي إلى الأبد ملف الأطباق الطائرة. ولسوء الحظ أن هناك علماء ملحقين بإدارة المخابرات بحثوا هذا الاحتمال بالرغم من أنهم كانوا متأكدين من الجواب مقدمًا. وكما تعرف لقد حدث أن ظهرت الأطباق قبل التفجير الأول للقنبلة الذرية.

كلا، إن هذه فكرة سخيفة جاءت من أناس يجهلون كل شيء عن حقيقة المسألة. ولو أنهم أطلعوا على تقارير إدارة المخابرات لاتجه تفكيرهم وجهة أخرى.

***

هدية من العالم الآخر!

في أوائل ربيع عام ١٩٥٣، وجدت في كونتيكت كرة معدنية غريبة قطرها متر، وفي داخلها أسطوانة تدور بسرعة كبيرة. وقد نقلت هذه «الكرة» الغامضة في الحال إلى أحد المعامل لتحليلها. ونزلت نتيجة التحليل كالصاعقة على علماء الطبيعة والكيمياء الذي استولى عليهم الذهول. فقد ثبت أن ذلك المعدن كان من «الكوبالت» في حالته الطبيعية الخالصة. وقد لا يحمل ذلك أي مغزى للشخص العادي، ولكن عندما تعلم أن الكوبالت في حالته الطبيعية الخالصة ليس له وجود على الكرة الأرضية، فإنك تدرك مدى الغرابة في هذه الواقعة!.

إن هذه الكرة جاءت من كوكب آخر، فلماذا وضعت في منطقة مهجورة من الكونتيكت؟ وفيم كان استعمالها بالضبط؟ وما الغرض منها؟..

أسئلة لا يستطيع أحد الإجابة عنها... في الوقت الحاضر.

الفصل السابع

لغز

مهما بدا الأمر عجيبًا، فإن تفنيد السلاح الجوي الأمريكي لنظرية اختلاف درجة الحرارة لم تكن هي اللغز الوحيد الذي اصطدمت به. بل إن الشهرين اللذين انقضيا كانا زاخرين بالأحداث المتناقضة. وأول هذه الأحداث هو الموقف الذي اتخذه سلاح الطيران في الولايات المتحدة من تصريحات جوزيف روهر وهو مدير إحدى محطات الراديو في بويبلو «كولورادو».

ولو كانت الحكاية التي رواها روهر جاءت في ظروف أخرى لقوبلت بالسخرية. ولكن جوزيف روهر وهو شخصية كبيرة في المدينة ومواطن محترم، ومدير لإحدى محطات الراديو، روى قصته التي أكدها بلهجة تدل على الصدق الذي لا يتطرق إليه الشك. وظهرت روايته التي كان طابعها عدم التهويل والمبالغة، تحت عناوين ضخمة «مانشيت» في صحيفة «تشيفتان» في بويبلو، ثم نقلت الرواية على موجات الأثير، وعلى صفحات الجرائد في غرب الولايات المتحدة.

وإذا صدقنا رواية روهر، تكون قد وقعت في أيدي السلطات الأمريكية سبع اسطوانات طائرة، أرغم ثلاث منها على الهبوط في مونتانا.وهناك واقعة مهمة، وهي أن أحد قائدي هذه الأطباق بقي حيًا

بعد الحادث الذي وقع للطبق. وكان مخلوقًا يبلغ طوله ثلاثة أقدام تقريبًا «٩١ سنتيمترًا» وقد وضع حيًّ في جهاز حضانة «جهاز يوضع فيه الطفل الذي ولد قبل الأجل المحدد، حيث يبقى فترة من الزمن في درجة حرارة مناسبة». وقد بقي في ذلك الجهاز مدة عامين بمكان ما في كاليفورنيا أحيط بالكتمان.

وفي أول الأمر، فشلت كل المحاولات التي بذلت للتفاهم معه. ولكن الذين عهد إليهم به نجحوا في تلقينه ما يريدون، بطريق الصور. وتمكن أساتذة في اللغة من جعله يتعلم القراءة والكتابة بالإنجليزية. وتبعًا لوصف روهر، لم تكن «الأطباق» غير اسطوانات ضخمة تتحرك حركة دائرية، وتحتوي على كابينات ثابتة «أي مستقلة بنفسها عن الحركة الدائرية».

وقد ألقى تصريحه المثير أمام الغرفة التجارية في بويبلو، وأكد لسامعيه أنه صعد إلى إحدى هذه الآلات، وكان قطرها طوله ٣٠ مترًا وسمكه خمسة أمتار وثمانون سنتيمترًا. وكان «الطبق» يحتوي على خمس مقصورات، والركاب ينامون في داخل أنابيب لها صمامات.

وأضاف روهر قائلًا:

– إن هواء الكابينات كان مكيفًا: ٣٠% أوكسجين، ٧٠% هليوم. وفيما يختص بطريقة الدفع التي كانت تتحرك بها الاسطوانة، فقد كانت تستخدم من أجل ذلك توربينات كهربية ستاتيكية، وكان المجال المغناطيسي الذي يتولد عنها يعطي للآلة سرعة هائلة. وكان تنوع

المجالات ذوات السرعات المختلفة، هو التفسير لتعاقب الألوان المتعددة التي شاهدها الناس كثيرًا من المرات في الأطباق الطائرة.

وبين روهر أنه بالنسبة لارتفاع الفولت، فإن الأطباق كانت تتحاشى الاقتراب من الطائرات والمدن. وختم حديثه بالقول:

– إن الحكومة أحاطت الأمر بالكتمان بسبب الذعر الذي كان يستولي على الناس لو أن الستار أزيح عن هذه الوقائع.

وعندما علم الجمهور بأمر هذا التصريح، رأى بعض الأشخاص صلة بين هذه القصة وقصة الرجل الألومونيوم التي كانت حديث الناس في سنة ١٩٥٠. وأعادت الأنابيب ذوات الصمامات إلى الذاكرة «الأوعية المفضضة» التي تحتوي على رجال ذوي أحجام دقيقة، والتي قيل إنها سقطت من اسطوانة أصابتها نيران المدافع المضادة للطائرات. وأكد لي شوب أن إدارة المخابرات تجهل كل شيء عن الاسطوانات التي تحدث عنها روهر. فسألته:

– لماذا لا يصدر السلاح الجوي في هذه الحالة تكذيبًا قاطعًا لهذه القصة؟

– لسنا حريصين على ذلك.

– ولماذا؟ لقد كذب واطسون القصة التي رواها سكولي ولقد ذهب روهر في هذه المرة إلى أبعد مما ذهب إليه الأول لقد بلغ به الأمر أن

أدعى أنه صعد إلى سطح أحد هذه الأطباق الطائرة! فكيف تقبلون مثل هذا الكلام؟

وهز شوب رأسه، وقال:

– إن تصريحًا من ناحيتنا لن تكون له ثمرة سوى الدعاية لهذه القصص.

– لماذا لا ترغمونه على تكذيب نفسه بنفسه، والاعتراف بخطئه من غير أن يأتي ذكر السلاح الجوي؟

– وماذا نملك من وسائل الضغط على روهر؟ لسنا نملك الحق في إصدار أوامر إليه.

– هل اتصل الجنرال سامفورد تليفونيًا به لكي يوجه إليه أسئلة صريحة: أين رأى «الطبق»، في أي تاريخ، وما هي أسماء الضباط الذين كانوا شهود الظاهرة؟ وفي استطاعة الجنرال مثلًا أن يأمره بسحب تصريحاته، مهددًا إياه بصواعق السلاح الجوي. فإنكم إذا تركتم هذه القصة تنتشر، فإن الناس سيصدقونها، حتى لو كان روهر لا يقصد منها غير المزاح.

وفرك شوب ذقنه، وعلامات التفكير الشديد بادية عليه. ثم قال:

– هذه فكرة – سأتحدث بشأنها إلى الجنرال سامفورد، كما سأتكلم مع إدارة المخابرات.

وفي اليوم التالي أبلغني ألبرت شوب بأنه لم ينجح في محاولته. فقد كان يجب إقحام السلطات الجوية في تلك المنطقة في الأمر.

– كل هذا يبدو لي غير متماسك. فهل يوجد حقًا قانون يحرم على مدير إدارة المخابرات أن يتحدث في التليفون؟

– على أي حال، يجب أولًا أن تقوم إدارة المخابرات في المنطقة التي جاء ذكرها، بالتحقيق في رواية روهر.

– وما دمتم تعرفون أنها كلام فارغ، فلماذا تتعبون أنفسكم في تحقيقها؟

– هذا هو الروتين.

– إذن بماذا ستردون على الناس الذين يكتبون إليكم؟ هل ستقولون لهم أن المسألة ليست غير خدعة؟

– كلا، سوف لا نجيب بغير القول بأنه ليس لدينا علم بالمسألة.

وبعد وقت قصير من هذه الحكاية أمد رؤساء فرق الكشافة من «ويست بام بيتش» كل صحف البلاد بمادة غزيرة عندما روى رواية عجيبة عن «لقاء» مثير حدث له مع طبق طائر في غابة، على مقربة من ويست بام بيتش خلال ليلة ١٩ أغسطس ١٩٥٢. فحوالي الساعة التاسعة مساء ذلك اليوم، بينما كان رئيس الكشافة واسمه «ديفيز جرز» وبرفقته ثلاثة من الكشافة عائدين بالسيارة إلى بيوتهم بعد أن حضروا اجتماعًا، لمحوا في الغابة أضواء عجيبة. فترك ديفيز جرز الشبان الثلاثة

في السيارة، وتوجه هو ناحية الظاهرة المضيئة لكي يتحقق من أمرها. وقد أخذ معه خنجرًا وبطارية.

وبعد دقيقتين من ذلك، رأى أحد الكشافة الذين كانوا في السيارة كرة من النار ذات لون أبيض مشرب بحمرة تسقط من فوق الأشجار نحو المكان الذي شوهد فيه ديفير جرز للمرة الأخيرة.

ولما لم يعد رئيس الكشافة، ذهب أحد الشبان الثلاثة جريًا على الأقدام إلى أقرب منزل، وأبلغ الأمر بالتليفون لمدير الشرطة في البلدة (الشريف).

وفي اللحظة التي وصل فيها «الشريف» إلى المكان، برز ديفير جرز من الغابة، وكانت أمارات الرعب بادية عليه بشكل واضح، كما أنه كان في حالة محزنة من الإعياء الشديد. ثم روى قصته:

«عندما وصلت إلى بقعة في الغابة خالية من الأشجار أدركت فجأة أن هناك شيئًا يدور فوق رأسي، وعندما صوبت مصباحي الكهربائي في الفضاء، رأيت آلة معدنية في شكل أسطوانة قطرها ثمانية أمتار تقريبًا.

وفي اللحظة التالية، رأيت «برج» الطبق ينفتح، ولسانًا من اللهب يمتد نحوي، فيحرق ذراعي وقبعتي. وعندما عدت ثانية إلى الوقوف على قدمي بعد أن ظللت برهة فاقد الوعي، كان الطبق الطائر قد اختفى.

وقد حمل البعض قصة ديفير جرز على محمل الجد. فقد كان ذراع رئيس فرقة الكشافة محمرًا فعلًا بشكل فظيع، وكانت قبعته محترقة.

وعندما وصل «الشريف» التي وقع فيها الحادث، وجد على الأرض آثار نيران.

ورفض ديفير جرز أن يفضي بأي شيء أكثر من ذلك للصحفيين، محتفظًا بتفاصيل المغامرة لإحدى المجلات لكي تنفرد بنشرها. ومُنذ ذلك الوقت بدأ أشخاص عديدون في توجيه عدة أسئلة إلى أنفسهم. ففي مرة من المرات، سجلت واقعة عن طبق طائر قيل إنه أحدث حروقًا خطيرة بالشاهد.

وتفصيل ذلك أن غلامين في آماريلو في التكساس. أكدا أنهما رأيا أسطوانة صغيرة بيضاء تهبط إلى الأرض بالقرب منهما بدون أن يتوقف الجزء الأعلى من الآلة عن الدوران كالنحلة. وقد مد أحد الغلامين يده إليها.

وعندئذ ازدادت سرعة الدوران في الحال، بينما خرج من الآلة شيء كأنه ينبوع من الغاز. ثم تركت الاسطوانة الأرض بينما كان ينبعث منها صفير غريب، واختفت في الفضاء. وعلى سبيل البرهان، عرض الغلام بقعًا حمراء كانت ترى واضحة على وجهه وذراعيه.

في أغسطس عام ١٩٥٢، حدث أن سوني ديفير جرز (وهو رئيس كشافة أمريكي) «أصيب بحروق» بواسطة كرة من النار «قذفت» من طبق طائر كان يقف جامدًا على بعد بضعة أمتار فوق خالية من الأشجار في غابة.

وعلمت بعد ذلك إن إدارة المخابرات لم تقم بأي تحقيق في هذه الواقعة. فقد كان لديهم من غير شك، الاعتقاد بأن تلك المغامرة كانت تخفي وراءها ألعوبة من ألاعيب الصبيان أحدثت تلك الحروق. وكان هذا التفسير يبدو منطقيًا. وعندما تذكرت هذه الحكاية، بت أعتقد بأن حكاية ديفير جرز سوف ينظر إليها بنفس النظرة. ولكني علمت بأن الكابتين إدوارد روبيلت «الضابط في المخابرات» تلقى الأمر بأن يذهب بالطائرة إلى فلوريدا للتحقق من تلك الرواية في نفس المكان. وبعد أن استجوب ديفير جرز طويلًا، عائد بالقبعة المحترقة إلى دايتون لإجراء تحليل لها.

وبعد مضي عدة أيام، سألت شوب عن النتيجة، فقال إنهم لم يصلوا إلى شيء حاسم، ونصحني بأن لا أضيع وقتي في هذه الحكاية.

ولكن حتى مع الاعتراف بأن رواية الكشاف انتهت إلى لا شيء، فهناك مع ذلك حقيقة لا سبيل إلى إنكارها وهي أن السلاح الجوي الأمريكي كلف أخصائيًا في شخص الكابتين روبيلت بأن يقوم بعمل تحقيق بدلًا من أن يكلف به –كما هي العادة المتبعة – ضابطًا من مخابرات ميامي. ومعنى هذا أن المخابرات لم تستبعد إمكان حدوث مثل هذا «اللقاء» مع طبق طائر.

وبينما كنت أفكر في كل ذلك، جاء تقرير جديد يتضمن رواية طبق شاهده موسيقي اسمه سكوايرز – وكان هو الشاهد الوحيد.

ففي فجر ٢٧ أغسطس، كان سكوايرز منطلقًا بسيارته في بتسبروج، عندما رأى شيئًا يدور فوق أحد الحقول. فاقترب منه لكي يقف على

جلية الأمر، فوجد على ارتفاع ثلاثة أمتار من الأرض آلة متحركة تتكون من اسطوانتين ضخمتين الواحدة فوق الأخرى، وبينهما كابينة مزودة بثلاث أو أربع فتحات كنوافذ السفينة. وكان هناك ضوء أزرق يبدو أنه صادر من داخل الكابينة. وحدد سكوايرز قطرها هاتين الاسطوانتين بحوالي ٢٣ مترًا.

وترجل الموسيقي من سيارته، وتقدم في حذر نحو تلك الآلة العجيبة وعندما أصبح على مقربة منها، ميز في إبهام حركة ما بداخل الكابينة. وقال إن الذي خيل إليه عندئذ هو أنه بصدد رؤية شكل إنساني (ولكنه كان متحفظًا في هذه النقطة الأخيرة) وفي نفس الوقت، سمع أزيزًا غريبًا متسقًا ومتوازنًا، لم يسمع مثله في أية آلة أخرى. وقبل أن يقترب أكثر من ذلك، ارتفعت الآلة الغامضة في الجو بشكل عمودي، واختفت في السماء بسرعة.

ولما كان سكوايرز هو الشاهد الوحيد لذلك الحادث، فقد قابلت بعض الصحف نبأ مغامرته بالسخرية. ولكني شاهدت في إدارة المخابرات مظاهر رد فعل مختلفة ومتباينة، كانت ثلاثة بالضبط. فبالرغم من سمعة سكوايرز المحترمة والتي كشف عنها التحقيق، فإن الليفتنانت كولونيل سيرلز انفجر ضاحكًا عندما جاءه نبأ القصة.

أما شوب فقد قابلها بجد أكثر، ولكنه أنكر واقعة قيام لجنة «الكتاب الأزرق» بتحقيق خاص. وأخيرًا، لدهشتي البالغة، أشارت عليَّ شخصية ثالثة بما يلي: «لا تنشر كلمة واحدة عن حكاية بيتسبورج. ولو

كنت أنا في موضعك لذهبت أتحقق من الأمر في نفس المكان. ولانتهزت الفرصة لجمع كل العناصر المتصلة بالمشاهدة التي حدثت بواسطة طائرة البانامريكان بالقرب من نورفولك. فذلك في اعتقادي من أخطر التقارير التي وصلتني».

لسوء الحظ، حالت رحلة قمت بها إلى نيويورك دون ذهابي إلى التكساس. ولكني قدمت لكي يرسل لي التقريران الخاصان بالواقعتين.

وقال لي شوب فيما يختص بحادث بيتسبورج أنه وضع ضمن الظواهر التي لم يوجد لها تفسير. وقد أخذت عينة من الأرض التي تحركت فوقها الآلة، لفحص الإشعاع بها، ولكن العينة عندما وصلت كانت قد تفتتت وأصبحت ترابًا، ولم يمكن عمل أي تحليل.

وبينما كنت في انتظار التقرير الخاص بحادث البانامريكان، برز لي لغز جديد، وهو حادث «وحش ساتون».

ومن بين كل الحكايات الخارقة للعادة، والمتصلة بالأطباق الطائرة، كانت هذه الحكاية بالتأكيد أكثرها تهويلًا وإغراقًا في الخيال. وليس هناك شك في أنها كانت حالة إيحاء ذاتي هيستيرية، ولكن عناصرها العجيبة تجعلها جديرة بالرواية.

وقد وقع الحادث من ساتون في فرجينيا الغربية في ١٢ سبتمبر. ففي ساعة مبكرة من المساء شاهد آلاف من الناس أسطوانة براقة تشق أجواء الفضاء.

وبين الشهود كانت توجد مدام كاتلين ماي، وأبناؤها الثلاثة، وكذلك شاب في السابعة عشر اسمه جين ليمون، وهو ملحق بالحرس الوطني. وبالرغم من أن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا متأكدين من الأمر تمامًا إلا أنه خيل إليهم أن شيئًا ما هبط إلى الأرض فوق تل كبير.

وعندما صعدوا التل، كان الليل قد أرخى سدوله. فأضاء جين ليمون مصباحه الكهربائي الذي يحمله في جيبه. وشم الجميع في أول الأمر رائحة كريهة وخانقة. وبينما كانت الجماعة تقترب من المكان الذي خيل إليهم أن الشيء هبط فيه، كانت هناك عينان تلمعان في الظلام. ولما كان الشاب قد ظن أنهما لحيوان ما يقبع فوق أحد الأغصان، فقد صوب مصباحه في ذلك الاتجاه.

وعندئذ أضاءت أشعة المصباح إضاءة تامة شبحًا ضخمًا يبلغ ارتفاعه حوالي مترين و٧٥ سنتيمترًا، له وجه أحمر يتساقط منه العرق، وفي وسطه تلمع عينان كبيرتان جاحظتان يفصل بينهما ما لا يقل عن ٣٠ سنتيمترًا.

ولدى تسليط ضوء المصباح على وجه الوحش، تبدل لونه من الأحمر إلى الأخضر، وصدر من ذلك المخلوق العجيب صوت صفير صغير عجيب. وأخذ في الحال يسير متجهً صوب الجماعة.

وعندئذ أطلق الجميع سيقانهم للريح هابطين التل وهم يكادون يموتون من الرعب والهلع.

وبينما كانت مدام ماي تتصل بمدير الشرطة بالتليفون، لاحظت على وجه الأطفال مادة زيتية غريبة.. وبدأت حلوقهم تتورم شيئًا فشيئًا. واتجه الظن بعد ذلك أن الوحش لابد أنه بصق على الشبان الصغار نوعًا من الغاز. ولكن الاضطراب الذي استولى على مدام ماي كان من الشدة بحيث أنها لم تكن متأكدة من الأمر.

وعندما وصل «الشريف» كان الضباب قد بدأ ينتشر فوق التل. فقام مرتين بمحاولة الاهتداء بكلابه إلى المكان الذي وقع فيه الحادث. ولكن الكلاب كانت تهرب في كل مرة وهي تنبح. فأجل الرجل بحثه حتى الصباح.

وفي أثناء الليل، أخذ الشاب جين ليمون يعاني آلام المرض. وساءت حالته حتى وصل إلى درجة التشنج العصبي. وكان حلقه، مثلما حدث للأطفال الآخرين، متورمًا وملتهبًا بشكل غريب. وشبه أحد الأطباء الأثر الناتج عن ذلك بالأثر الذي يحدثه غاز الخردل الخانق.

وبعد طلوع النهار بقليل، ارتفعت آلة غامضة في الجو من فوق التل.. هذا هو على أي حال ما أبلغ عنه عضو في لجنة ساتون التعليمية. وعندما فتش العمدة ورجاله المكان بحيث حدث «اللقاء» لاحظوا بعض الآثار، وكان العشب مدقوقًا وملتصقًا بالأرض، كما أنهم وجدوا بقايا مواد متحللة مشابهة لقطع من مادة البلاستيك الأسود. ولكنهم لم يكتشفوا أثرًا للمخلوق المرعب الذي وصفته مدام ماي والشبان الأربعة.

تلك كانت حكاية «وحش ساتون»، التي عندما أعلنت على الناس نسبت إلى تأثير الهلوسة. وقد كان رأيي فيها كذلك. وعلى سبيل المزاح، طلبت شوب في التليفون وسألته قائلًا:

– قل لي، كم من ضباط المخابرات سترسلون إلى ساتون؟

فرد قائلًا بلهجة مريرة:

– حتى أنت؟

ثم سكت برهة، وأردف قائلًا:

«نحن لا نهتم حتى بمجرد إصدار أمر بالتحقيق. إني أعرف جيدًا أن الفلكيين سجلوا سقوط شهاب في تلك المنطقة. ولكن فيما يختص بحكاية الوحش، فلاشك أن أولئك الناس كانوا يحلمون».

ومع ذلك فلم يكن ضرب نطاق من الصمت حول حكاية ساتون من السهولة بمكان كما كان هو المظنون. فقد استولى المعقبون في الراديو على القصة، ونشرت الصحف سلسلة من المقالات في هذا الموضوع.

ثم طلب إلى مدام كاثلين ماي والشاب جين ليمون أن يقصا على مسامع الجمهور مغامرتهما المرعبة. وكان من الوضوح بمكان أن الاثنين يؤمنان بحقيقة الوحش. ثم بعد ذلك أرسلت عشرات المجلات مخبريها ومراسليها إلى ساتون للحصول من نفس المكان على بعض المعلومات الإضافية.

وعدت أقول لشوب:

– بالاختصار، لقد بدأ زمام هذه الحكاية يفلت من أيديكم. لماذا لا يقضي عليها السلاح الجوي؟.

– لقد سبقأن صرحنا بأن المسألة تتعلق بأحد الشهب.

– ولكن كثيرًا من الناس لا يصدقون تصريحاتكم. وفي الحقيقة يبدو أن هذه الحكاية قد وجهت بمهارة توجيهًا سيئًا. وهي لم تعمل في النهاية إلا على تقوية الشعور بالخوف من خطر أشد بكثير مما أثاره حادث ديفير جيرز.

ومما هو جدير بالملاحظة أن بعد ذلك بثلاثة أشهر، نشرت قصة رئيس فرقة الكشافة في مجلة «أمريكان ويكلي»، وأكد ديفير جيرز في روايته للحادث أنه رأى مخلوقًا مرعبًا في برج «الطبق» – كان على درجة من الهول والبشاعة جعلت ديفير جيرز يفضل عدم وصفه. ولكن في شهر سبتمبر، عندما ظهرت حكاية وحش ساتون، كانت هذه الواقعة مجولة من عامة الناس».

وبالرغم من ذلك فقد أصر شوب على موقفه، وقال:

– هذه الحكاية سوف تموت من تلقاء نفسها.

– ولكن الجمهور سوف يذكرها فيما بعد، إذا وقع حادث من نفس اللون. وإني أكرر عليك قائلًا: لماذا لا تقضي عليها إدارة المخابرات

مُنذ الآن قضاء مبرمًا؟ لقد أرسل روبيلت في مهمة بحث واستقصاء في فلوريدا.

– لقد كنا نجهل تفسير ذلك الحادث، ولكننا نعرف ماذا يجب أن يكون عليه موقفنا من هذا الحادث. أولئك الناس رأوا شهابًا. وهذا كل ما في الأمر. ولقد تخيلوا الباقي. ونحن لسنا مطالبين بإرسال ضباط من المخابرات في كل مرة تظهر فيها حكاية خيالية. إن لجنة «الكتاب الأرزق» لا تملك ما يكفي لذلك من الأشخاص أو من الاعتمادات.

وأيًا كان الأمر، فقد رأيت أنا هذه الأعذار غير مقنعة. ففي واشنجتون كان الماجور فورنية والمحققون الآخرون على أهبة الاستعداد تمامًا وموجودين تحت تصرف الإدارة. وبالطائرة كان في استطاعتهم الوصول إلى مكان الحادث في ساعة واحدة. وكان يمكن تكليف ضابط من المخابرات في تلك المنطقة بالقيام هو أيضًا بالبحث والاستقصاء.

وبالرغم من الحجج التي أدلى بها شوب، فقد بدا لي موقف السلاح الجوي الأمريكي في منتهى الغرابة. ففضلًا عن البريد الضخم الذي وصل إلى السلطات من كثير من الأمريكيين الذين استحوذ عليهم القلق، فإن حكاية وحش ساتون تركت أثرًا خطيرًا.

وإزاء تصرف سلاح طيران الولايات المتحدة الذي بدا أنه لا يريد أن يتحرك، ذهبت جماعات خاصة من المحققين إلى ساتون. ومن بين هؤلاء كان هناك مندبون عن منظمة ديلاورا التي قامت بتحقيق دقيق. وقال لي أحد أعضاء تلك اللجنة:

– حكاية الوحش تلك يمكن أن تكون صادقة. لقد جمعنا كل عناصر الحادث، ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن الشهود لم يكذبوا وهم مقتنعون بأنهم رأوا «الشيء». هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أبحاثنا قادتنا إلى هذه النتيجة، وهي أن شيئًا ما قد هبط فعلًا فوق ذلك التل.

ولكي تتجنب إدارة المخابرات إثارة فضول الناس واجتذاب انتباههم، فضلت العمل عن طريق بوليس فرجينيا الغربية الذي أمدهم بكل التفصيلاتز وعلمت فيما بعد من مصدر غير رسمي بأن إدارة المخابرات أرسلت اثنين من رجالها في ثياب مدنية على زعم أنهما مخبران صحفيان، وقد استجوبوا الشهود. وفي الحقيقة لقد اهتمت المخابرات بهذا الحادث أكثر مما أرادت أن تبين للناس.

ولم أجد لهذه المناورة من ناحية السلطات غير تعليل واحد: فلو أن السلاح الجوي أرسل بشكل علني محققين إلى ذلك المكان لوضع نقطة الختام لهذه المغامرة، فإن مثل هذا التصرف كان من الممكن أن يتحول ضده. فإن الصحف اليومية والدورية كانت ستتحدث في الحال عن تحقيق رسمي خطير، الأمر الذي كان سيؤدي بالناس إلى الاعتقاد بأن سلاح الطيران في الولايات المتحدة قد خضع لتأثير تقرير ساتون، وأن الافتراض بوجود عمالقة من كواكب أخرى ليس مستحيلًا.

وعندما يأتي الوقت الذي يكون فيه وجود الأطباق الطائرة حقيقة مؤكدة، فإن الناس سيتذكرون أقل إشارة أو تلميح صدر من السلطات حول إمكان وقوع تهديد.

ومن الواضح أننا إذا نظرنا من هذه الزاوية إلى حادث ساتون بمخلوقه المرعب الذي لديه قدر من الذكاء يجعله يبني ويقود آلة تنتقل من كوكب إلى كوكب، لوجدناه ينطوي على خطر داهم، ولأدركنا أنه من الأفضل من غير شك نسبته إلى مجرد هلوسه.

وبعد شهور كثيرة من ذلك، ثبتت افتراضاتي. ففي يناير ١٩٥٣. علمت ماذا كانت النتائج التي وصلت إليها المخابرات:

أولًا: الشيء البراق الذي شوهد بواسطة مدام ماي وأبنائها الثلاثة والشاب ليمون كان شهابًا. وباختفائه خلف التل، ظنوا أنه هبط إلى الأرض.

ثانيًا: لقد رأت الجماعة فعلًا عينين كبيرتين تلمعان في الظلام. ومن الجائز جدًا أنهما كانت لبومة ترقد فوق أحد الأغصان. وقد تكون أوراق الشجر والأغصان تحت الحيوان قد تمثلت لهم في صورة جسم عملاق. وقام الخيال بتفسير الباقي على طريقته.

ثالثًا: مرض الأولاد جاء بالتأكيد نتيجة للرعب الهائل الذي استولى عليهم.

رابعًا: الآثار المزعومة والعشب المدقوق كان من فعل أول قرويين وصلوا إلى المكان.

ولكن المحققين المدنيين الذين فحصوا أرض رفضوا قبول هذه التفسيرات، ووضعوا تشخيص الطبيب لتورم والتهاب الحلوق موضع الشك.

وعندما رأيت ألبرت شوب ثانية في شهر نوفمبر وعدت إلى ذكر هذه الحكاية، قال لي:

– نحن لم نعد نشغل أنفسنا بحكايات الوحوش تلك. نحن لدينا ما فيه الكفاية من تقارير المشاهدات التي رؤيت بالعين.

قال ذلك وهو يمد يده إلى بوثيقتين من إدارة المخابرات:

وكانت أول مشاهدة وقعت في أغسطس في قاعدة هاملتون الجوية في كاليفورنيا في الساعة الرابعة بعد الظهر والدقيقة ٤٥. فقد ظهرت أسطوانتان فضيتان تتحركان على ارتفاعين مختلفين، وكانتا أتيتين من الشرق. ومن الأرض كان طيارو الطائرات النفاثة يشاهدون الظاهرة. وفجأة رأوا الاسطوانة العليا تنزل بطريق الانقضاض حتى وصلت إلى مستوى الأخرى. ثم بدأ «الطبقان» يدوران ويلفان فوق المطار كما لو كانا طائرتي قتال في معركة جوية.

وكان أول من شاهدهما هو الليفتنانت سويملي الذي كان يسخر دائمًا من قصة الأطباق الطائرة. وقد أمسك بمنظاره المكبر وهو لم يزل في تشككه وصوبه نحو الآلة الغامضة. فتبين شكلها الاسطواني، ولكنه – بالنسبة لبعد المسافة – لم يستطع أن يظفر بأي تفصيل آخر.

وفي نفس الوقت كان الرادار في محطة أرضية قد سجل ظهور علامات فوق لوحته. وبينما أسرع طياروا المقاتلات إلى طائراتهم من طراز ف – ٨٦، انضمت ست اسطوانات أخرى الاثنتين الأولتين. وبعد أن اتخذت الآلات كلها تشكيلًا واحدًا، اتجهت بمقدمتها نحو الغرب. ولما بدأت الطائرات ف – ٨٦ ترتفع في الجو، كانت الآلات قد اختفت تمامًا.

وعندما سئل الليفتنانت سويملي بوساطة ضابط من المخابرات قدر قطر «الأطباق» من ٢٠ إلى ٣٠ مترًا وأضاف قائلًا:

– ولا تحدثني عن ظواهر الانكسار. إني أعرف أنني رأيت أجسامًا صلبة.

وقام بالمشاهدة الثانية الكولونيل كارل أندرسون، وهو قائد طائرة قتال، وكان مثل سويملي لا يصدق أن هناك شيئًا اسمه «أطباق»ز ولكنه في تقرير موجز واضح، أكد اقتناعه بأن الاسطوانات هي أشياء حقيقية.

على أن المهم في الأمر هو أنه في الحالتينز وبالأخص في حادث هاملتون فيلد، كان لدى الطيارين والشهود على الأرض متسع من الوقت لإرسال «إشارات» للأطباق. ولكن لم يأت ذكر ذلك في أي تقرير.

ولقد كنت سألت الكولونيل بورز في هذا الشأن في نهاية المؤتمر الصحفي الذي عقد في يوليو، وأجابني الكولونيل قائلًا إن سلاح طيران

الولايات المتحدة لم يحاول مطلقًا القيام باتصال مع هذه الآلات. ورد الكولونيل روبيلت على سؤالي بنفس الإجابة.

وبالطبع لم أدع الفرصة تمر من غير العودة إلى هذا الموضوع بعد أن قرات تقريري إدارة المخابرات، فسألت شوب:

– لماذا لم تبذل أية محاولة لعمل إشارات للأطباق من أجل الاتصال بها؟

فأجاب قائلًا:

– ربما لأنه لم يفكر أحد في ذلك.

– هل أنت متأكد من أن السلاح الجوي لم يقم بأية محاولة من هذا القبيل.

– تمام التأكد. بالطبع من المحتمل أن يكون هناك طيار قام بعمل إشارة ضوئية، أو حاول الاتصال بالراديو، ولكنه لا توجد وسيلة رسمية للاتصال بهذه الآلات.

– لماذا لا تضعون مشروعًا من أجل ذلك؟ إنه من السهولة بمكان أن توضع شفرة مضيئة يمكن وقت اللزوم استخدامها بوساطة الطيارين.

وتناول شوب سيجارة، ثم ظل برهة قبل أن يشعلها. ثم قال:

– نحن لا نستطيع وضع مشروع من هذا القبيل. فإن الناس سيرون في ذلك اعترافًا رسميًا..

فسألته مستغلًا تردده:

– أي اعتراف؟

_... بأن الأطباق الطائرة هي آلات تأتي من كواكب أخرى.

– وفقًا لكل هذه التقارير، من الواضح أن إدارة المخابرات تعتقد ذلك.

– حتى لو كان السلاح الجوي لديه ما يجعله يميل إلى هذا الاعتقاد، فإنه لن يعترف به أبدًا قبل أن تكون لديه كل الأدلة بين يديه.

– إلى أي مدى «يعرف»؟

واقتصر شوب على هز رأسه في صمت، فلم ألح عليه.

ومرة أخرى ألغيت نفسي أصطدم بجدار. وفي كل محادثاتي مع ضباط المخابرات. لقيت نفس التحفظ والكتمان.

كنا الآن في منتصف شهر نوفمبر وقد أحطت علمًا بتقرير البانامريكان في نورفولك. وكانت تلك حالة نادرة، حيث أن الطيارين «حلقوا» فوق الأطباق. وبمشاهدة الاسطوانات من ارتفاع منخفض مع وجود الأرض من تحتها، أمكن للطيارين أن يظفروا بمعلومات ذات أهمية بالغة من حيث أحجام الأطباق وسرعتها.

ففي ليلة ١٤ يوليو، كان الجو صافيًا، والرؤية غير محدودة. وكانت الساعة التاسعة مساء والدقيقة ١٢، عندما لمح ناسن وفورتنبيري أمامهما

ضوءًا عجيبًا مائلًا إلى الحمرة. وبعد جزء من الثانية، بدت ست اسطوانات ظاهرة للعيان. وكانت الآلات البراقة ذات لون أحمر برتقالي يذكر بلون المعدن أثناء انصهاره. وقد بلغت تلك الآلات سرعة خيالية على بعد ١٥٠٠ متر تحت الطائرة، وعلى ارتفاع ٦٠٠ متر من الأرض تقريبًا. وبدا أن قطر الأطباق يبلغ حوالي ٣٠ مترًا.

وأخذت الآلات الست تنتقل في تشكيل منظم. ثم بدا أنها لمحت الطائرة د ث – ٤، فهدأ «قائد السرب» فجأة من سرعته، بينما أخذ لون الاسطوانة يتحول إلى لون داكن. وبدا للطيارين أن قائد السرب قد لحقت به الاسطوانات الأخرى في إندفاع أوحى بأن إشارة التهدئة قد وصلتها متأخرة.

ثم أخذت الاسطوانات الست تقوم معًا «بالتحويد» وفي لمح البصر، أمكن للطيارين أن يقدروا سمكها بالتقريب: أربعة أمتار ونصف متر. وكان السطح الأعلى هو وحده البراق، أما السطح الأسفل والحواف فكانت خابية اللون. وأخيرًا في «تحويدة» لا تقل عن ١٥٠ درجة. مرقت الآلات من جديد بسرعة البرق، واختفت في الجو.

وقد قدر ناش وفورتنبيري سرعتها بحوالي ٣٢٠ ك. م في الدقيقة وهو رقم يكاد يعجز العقل عن تصديقه. وكان الطياران مقتنعين تمامًا بأن هذه الأجسام هي آلات موجهة بذكاء ومهارة من كوكب آخر.

ولم تعلق إدارة المخابرات بشيء على هذا الرأي الذي أبداه الشاهدان. وكما هي العادة، انتهى التقرير بعبارة، «الخلاصة: مجهول».

الفصل الثامن

المشروع الكندي

كان لدي إلى جانب إدارة المخابرات مصدر آخر أستقي منه المعلومات، يتمثل في شخص المستر ويلبور سميث وهو مهندس ورئيس أول لجنة كندية كونت لدراسة الأطباق الطائرة. وقد مدني في مرات عديدة عام ١٩٥٠ بمعلومات قيمة.

وقد كنت أعرف أن الموقف تطور في كندا مُنذ ذلك الوقت تبعًا لتعدد ظهور الأطباق الطائرة فوق «نورث باي» حيث أقام السلاح الجوي الكندي قاعدة جديدة للطائرات النفاثة. فكان إذن من المحتمل أن يرفض ويلبور لأسباب تتعلق بالأمن، لم يكشف لي عن أي شيء. ولكن كان من الممكن أيضًا أن أحصل منه على فكرة يمكنني بوساطتها أن أصعد المنحدر وأكتشف أخيرًا حلًا لهذا اللغز.

ولم يكن هناك في أوتاوا شخص أكثر صلاحية منه للتحقيق في الأطباق الطائرة. فهو أخصائي في المغناطيسية الأرضية، وخبير في الإلكترونية وعندما قابلته للمرة الأولى في ١٩٥٠ أطلعني على النتائج التي وصل إليها هو ومعانوه، كما أنه كشف لي عن رأيه الشخصي فقال: «إنني مقتنع بحقيقة الأطباق الطائرة، أو لكي أكون أكثر دقة، بوجود آلات من نوع جديد غير معروف.

ولقد واجهنا ثلاث احتمالات: أصل كوكبي، أسلحة سرية أمريكية، أسلحة سرية روسية. والاثنان الأخيران لا يثبتان أمام الفحص الدقيق. وإنني أعتقد والأدلة تحت يدي، بأن هذه الآلات تأتي من كوكب آخر.

وقد قوى ظهورها فجأة، الاهتمام الذي لدى الحكومة الكندية فيما يختص بالسفر في الفضاء وإنشاء قمر صناعي يكون بمثابة كوكب تابع للأرض. وإني مقتنع كذلك بأن الحكومة الأمريكية من ناحيتها تعطي هي أيضًا أهمية كبيرة لاكتشاف طريقة الدفع التي تسير بها الأطباق الطائرة».

فسألته: وما هو رأيك أنت فيما يختص بطريقة الدفع تلك؟ فوضع سميث كراسة صغيرة على المنضدة، ورسم الصورة الجانبية لآلة في شكل صاروخ، ثم قال: نبدأ أولًا إذا شئت بالسفينة الكوكبية الأم.. ومنها تقذف الاسطوانات في الفضاء، فتسير بطريقة الدفع بفضل الطاقة الكهربية – المغناطيسية. وعندئذ ذكرت بعض الاعتراضات التي لن يتردد رجال العلم في توجيهها. ولكن ويلبور سميث أجابني قائلًا: « إن الناس سيضحكون من هذه النظرية.

ولقد حدث ذلك فيما يتعلق بالطائرة والهيليكوبتر والمحرك الصاروخي والقنبلة الذرية. جميع الاختراعات الكبرى في العصر الحديث لاقت نفس المصير. وأنا نفسي كنت متشككًا في الأمر قبل التجارب التي قمنا بها، والتي سمحت لنا بالتأكد من هذه الحقيقة، وهي أنه من الممكن إنتاج طاقة بكسر المجال المغناطيسي الأرضي. بل إني أعتقد

أننا سنصل إلى تحريك أسطوانة طائرة بطريقة الدفع. ولست أذيع سرًا إذا قلت لك أن تشييد مثل هذه الآلة هو الآن موضع بحث.

ومُنذ بعض الوقت يجتهد العلماء الكنديون في حل بعض المشاكل المتعلقة بالمجال المغناطيسي الأرضي. وتسمح أبحاثهم بالأمل في الحصول على تقدم فني جديد في ميدان الكهربائية والمغناطيسية. فإذا تأيدت الافتراضات المبدئية، فإن ظواهر عديدة تتصل بمسألة الأطباق الطائرة ستجد تفسيرًا".

وعندما قابلت شوب في إحدى المرات سألته قائلًا:

– ما رأيك في السفينة الكوكبية الأم؟

فحدجني بنظرة جانبية. ثم وعدني بإطلاعي على كل ما يتصل بهذا الموضوع في الوقت المناسب. وفي انتظار التقارير التي وعدني بها شوب، أخذت في قراءة بعض المشاهدات غير الرسمية المتعلقة بظهور السفن الكوكبية الأم. وكانت أولاها قد حدثت في (كاليفورنيا).

ففي ٥ يوليو ١٩٥٢، رأى عدة عمال فنيين في مصنع طائرات، آلة براقة فضية اللون كانت تطير فوق المدينة نحو الشمال الغربي، ثم بدا لهم أنها توقفت عن الحركة. وفجأة رأى المشاهدون إسطوانتين أصغر حجمًا تنفصلان من ميمنة «السفينة الجوية»، وأخذنا خلال بضع دقائق ترسمان في الجو دوائر كاملة.

وبعد مضي لحظة من ذلك، استعادتهما السفينة الأم إلى جوفها، وصعدت الآلة الضخمة التي بدت في شكل سيجار إلى الجو بسرعة، واختفت في مثل لمح البصر. وهناك ثلاث حالات ذكرتها التقارير، كان مسرح ظهورها هو أوروبا. ففي ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ شوهدت في سماء الدانيمرك آلة ضخمة في شكل سيجار، ومن تحتها كانت تطير عدة أسطوانات تدور حول نفسها بسرعة قصوى.

ومن جهات متعددة في البلاد سجلت رؤية السفينة الأم والاسطوانات. وبعد ذلك بأسبوعين، في ١٠ أكتوبر ١٩٥٢، شوهدت في سماء ألمانيا والنرويج والسويد سفينة أم جديدة وبرفقتها عدة اسطوانات تتحرك حركة دائرية سريعة. وبعد أربعة أيام من ذلك، في ١٤ أكتوبر، شاهد ١٤٠٠ شخص يقيمون في لينز وفي أوليرون آلة أخرى في شكل سيجار تتبعها قافلة من الاسطوانات. ووفقًا لشهادات أدلى بها سكان أوليرون، انفصلت مئات الخيوط التي تشابه ألياف النبات من إحدى الاسطوانات، بينما كانت تلك الاسطوانة تقوم في الفضاء بحركة «زجزاجية» (على شكل حرف z) بل إنه سجلت شهادة لأحد السكان، جاء فيها أنه وجد نفسه فجأة داخل ما يشبه خيوط العنكبوت.

وأكثر غرابة من هذا، إن شهود آخرين أيدوا هذه الظاهرة الخارقة. والرجل الذي روى هذه الظاهرة الأخيرة كان يدعى جورج آدامسكي. وقد أدلى بروايته إلى صحيفة اسمها «الجازيت» في فينكس. وتبعًا لرواية لين فيلسن رئيس تحرير الجازيت – وقد نصح لقرائه بأن يتشبثوا بمقاعدهم

وهم يقرأون المقال – رأى آدامسكي وبعض أصدقائه آلة في شكل سيجار فوق صحراء أريزونا. وبعد برهة من الوقت ترك آدامسكي رفاقه، وسار على انفراد، وأخذ يقوم بالمراقبة بعيدًا عنهم.

وكان المتفق عليه بينهم أنه إذا وقع شيء غير عادي، فإنه سيلوح إليهم بقبعته أو يقوم بأية إشارة أخرى لتنبيههم. وبعد قليل من الوقت، رأى آدامسكي آلة اسطوانية الشكل تهبط نحوه، وكان قطر الآلة يبلغ ٦ أمتار تقريبًا. وعندئذ برز من «الطبق» «رجل قصير من سكان كوكب آخر»، ووطىء الأرض بقدميه في هدوء.

وكان «الزائر» يبدو في الثامنة والعشرين من عمره. وفي وجهه المشرب بالحمرة والذي بدا كالجلد المدبوغ كانت تلمع عينان رماديتان تميلان إلى الخضرة. وكان شعره الطويل الأحمر يسقط فوق ظهره وفي بعض الأحيان يتطاير في الهواء.

وكان يرتدي سترة كتلك التي يرتديها البحارة فوق الفينة، وسروالًا من الذي يستعمل في التزحلق على الجليد، وحذاء بني اللون إلى الحمرة. هكذا وصفه أصدقاء آدامسكي. وفي ٢٠ نوفمبر عام ١٩٥٢، رأى جورج آدامسكي طبقًا طائرًا يهبط. وبعد لحظات التقى براكبه – وكان مخلوقًا ذا شعر أشقر كثير الشبه بنا. وقد تحادث معه خلال ساعتين. وقد أكد هذا «الرجل القادم من الفضاء» بأنه جاء من كوكب الزهرة، ولنعد إلى رواية المغامرة..

.. سأل آدامسكي الرجل القصير القادم من عالم آخر لماذا جاء الأرض. فأتى هذا المخلوق الذي بدا أنه يفهم الإنجليزية بحركة بذراعه كما لو كان يصف بطريق الإشارات سحابة القنبلة الذرية التي تشبه في شكلها عش الغراب.

وبينما كانت تدور هذه المحادثة القيمة، لمح آدامسكي ما ظنه غلامًا صغيرًا أو «امرأة فائقة الجمال ذات شعر طويل يسقط فوق كتفيها» وهي تحدق خلال فتحة «الطبق» التي تشبه نافذة السفينة. وبعد برهة من الزمن. عاد الرجل القصير إلى الصعود في اسطوانته بعد أن أشار بأصبعه إلى الآثار التي خلفها نعلاه فوق الأرض. ثم ما لبث «الطبق» أن ارتفع في الجو بركابه العجيبين.

ورأت الجازيت أن من المناسب أن تنشر رسمًا يمثل آثار النعلين. وعند فحصه عن قرب بدا كحروف هيروغليفية. وقد كتبت الصحيفة تحت هذا الرسم: «رسالة من وراء الفضاء».

أقطع هنا حديث الماجور كيهو، لأدع كاتبًا فرنسيًا هو «جيمي جيو» يتحدث في كتاب له عن الأطباق الطائرة ليثبت أن الولايات المتحدة لم «تحتكر» وحدها مسألة هبوط الأطباق الطائرة على أرضها. وها هي ذي الرواية التي أوردها الكاتب نقلًا عن الرجل الذي عاش تلك المغامرة العجيبة. وهذا الرجل اسمه م. س. بلوندو، ويقطن في جويانكور (على بعد ٢٠ كيلو مترًا من باريس) حيث يملك بارًا اسمه «بار السرب» ويقع على حافة أرض المطار. فلندعه يتحدث:

في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٠، حوالي الساعة ١١ مساء ذهبت للسير قليلًا قبل النوم. وكنت أتأمل السماء بنجومها في إعجاب، عندما سمعت حركة خفيفة فوق أرض المطار. وعندما أدرت وجهي نحو مصدر الصوت، رأيت على بعد ١٠٠ متر تقريبًا شبحين في الظلام.. رأيت آلتين مستديرين تشابهان طبقين ضخمين مقعرين وقد أنكفأ الواحد منهما على الآخر.

وكان قطر كل من هاتين الآلتين يبلغ حوالي خمسة أمتار، وارتفاعها مترًا وسبعين سنتيمترًا. وكانت توجد على محيط كل منهما فتحات كنوافذ السفينة. وفجأة رأيت في كل من هذين «الطبقين» بابًا سميكًا يفتح، ويخرج منه رجل.

وكان هذان «الطياران» يبلغان في طولهما مترًا وسبعين سنتيمترًا تقريبًا، وكان شعرهما أسود، ويرتديان سترة طيران رمادية أو زرقاء قاتمة. واندفع الرجلان نحو إحدى الآلتين، وقد قاما بما اعتقدت أنه عملية إصلاح لأحد الأجهزة بها. وقد قاما بذلك بأيديهما فقط، بدون الاستعانة بعدد أو أدوات.

وبالرغم من الانفعال الذي سيطر على، فقد اقتربت منهما أكثر من ذي قبل. فنظرا إلى بشيء من الدهشة، ولكنهما ظلا هادئين وفي حالة طبيعية. فسألتهما قائلًا:

– هل حدث لكما عطل؟

– نعمن ولكن ليس لوقت طويل.

وكانت لغته الفرنسية سليمة ولكنه كان ينطقها ببطء.

وبعد برهة كانت عملية الإصلاح قد تمت. وتقدم كل من الرجلين نحو باب آلته وفتحه. ومن الداخل انبثق ضوء عجيب. وفي تردد، تجاسرت وذهبت لألقي نظرة من خلال الباب المفتوح.

والشيء الذي أثار دهشتي أكثر من سواه، هو الإضاءة الكاملة التي لم أر لها مثيلًا من قبل. فلم يكن ينعكس عنها أي ظل، ولا يستطيع المرء أن يتبين مصدرها.

وفي وسط الكابينة الدائرية، كان يوجد كرسي فوتيل أو فراش صغير (يماثل كرسي طبيب الأسنان) مغطى بنوع من الجلد الأحمر. وأمام هذا المقعد كان يوجد جهاز راديو له ٧ أو ٨ أزرار. وفوق الجهاز كانت توجد قيادة ضخمة مزودة بقبضة عمودية الشكل في كل من طرفيها.

وكانت هذه العجلة من المعدن الخالص، ومغطاة بعلامات وأزرار وكانت هناك أجهزة مختلفة موضوعة حول المقعد. وبعد لحظة أغلق كل من الرجلين بابه. وأخذ الطبقان في الارتفاع بدون أن يصدر عنهما أي صوت. ومن وضعهما الأفقي تحولا إلى وضع عمودي ثم أختفيا كأنهما مذنبين مرقا في الجو.

انتهت قصة بلوندو. ومما هو جدير بالذكر أن هذا الرجل طيار قديم (مدني وعسكري)، وبلغ مجموع ساعات طيرانه ١٥٠٠، وشهادته في الطيران المدني مسجلة تحت رقم ٤١٧٠. وقد عقب الكاتب بإبداء أسفه بأن المسيو بلوندو لم يكن لديه من حضور البديهة ما يجعله يطلب من هذين الطيارين شيئًا، أي شيء، ليحتفظ به كدليل حسي على هذا الهبوط.. هذا إذا فرض ورضى راكبا الطبقين إجابة هذا الطلب!. وكان من الممكن في هذه الحالة تحليل «الشيء» الذي أعطى إياه، سواء كان معدنًا أو غير ذلك، ومعرفة طبيعته.. والأرضية أو غير الأرضية..

الفصل التاسع

الملاحة الجوية بين الكواكب

عندما تولد الخوف من الأطباق الطائرة – وكان ذلك في عام ١٩٤٧ – اعترف بعض الفلكيين المشهورين بأن احتمال القيام بطيران بين الكواكب ليس أمرًا مستبعدًا.

وليس سرًا بالنسبة لأحد أن فلكيين عظماء أعلنوا بأنه من الجائز أن العالم يحتوي على كواكب مكونة. ومن بين هؤلاء العلماء الدكتور كارل فين فيزاكر، وهو عالم فلكي وطبيعي معروف في جامعة شيكاغو.

وقد قال أن هناك مليارات ومليارات من الكواكب التي قد يكون لها هي أيضًا توابعها التي تدور حولها. فلماذا لا يكون على هذه الكواكب، كما هي الحال على الأرض، حياة حيوانية وحياة نباتية؟ وأمام تقدم العلم في ميدان الملاحة الجوية فيما بين الكواكب بدأ عدد من العلماء والمهندسين الذين كانوا ينظرون إلى هذه المسألة كأنها حلم خرافي، يغيرون رأيهم. ولكن يجب الانتظار عدة سنوات أخرى قبل أن يصبح هذا الحلم حقيقة واقعة.

وقد يمكن في خلال، تشييد قذيفة تنطلق إلى القمر، ولكنها ستكون آلة بدائية إذا قورنت بما يفكرون في عمله. ومن ناحية أخرى، هم يتوقعون إمكان استخدام الطاقة الذرية. وقد جاوز مصممو الصواريخ

مرحلة الأبحاث النظرية كما أعترف بذلك في صراحة تامة مدير إدارة الصواريخ في معمل البحرية وذلك في فبراير ١٩٥٢.

وقد أصبح في حيز الإمكانيات أن صواريخ مزودة بمحرك ذري نفاث، وبوسيلة أخرى من وسائل الدفع، تخرج من نطاق الجاذبية الأرضية وتطير في فضاء حر من كل جاذبية. وقد ذهبت البحوث إلى حد التفكير في وسائل كيميائية من أجل تنقية جو الكابينات.

وأظهرت الاختبارات التي أجريت أن ركاب السفينة الكوكبية سيستنشقون الأوكسجين والهليوم لتجنب الخطر الناتج عن فقاعات الأزوت. وقد أظهرت بعض التجارب التي أجريت على الجرذان والقردة ما الذي سيكون في انتظار رجال الفضاء عند إطلاق الصاروخ، وفي أثناء الطيران بين الكواكب.

وقد مدني المعمل الطبي الجوي في «رايت باترسون فيلد». لقد ثبتت على قردة حبست في آنية ولديها احتياطي من الأوكسجين، آلات طبية يمكن أن تبين ضغط الدم، وتسجل النبض وانتظام النفس بتفصيلات طريفة.

وقد أظهرت هذه التجارب للأخصائيين كذلك آثار «انعدام الثقل» الذي يجب على الرجال السابحين في الفضاء مواجهته عندما يخرجون من نطاق الجاذبية الأرضية.

وقد صورت بعض الجرذان بطريقة أوتوماتيكية، فبين كليشيه الصورة هذه الجرذان، وهي تسبح في الفضاء في أقفاصها عند اللحظة التي بدأ الصاروخ فيها يعود في طريقه إلى الأرض، ففي خلال دقيقتين أو ثلاث، كانت سرعة القذيفة مساوية لقوة الجاذبية الأرضية، فأصبح الجرذان «بلا وزن».

ومن الجائز أن البشر لن يقاسوا من آثار إنعدام الثقل، ولكنهم قد يحسون بإحساسات ثقيلة. فعندما يتحرر الرجل من الجاذبية الأرضية، يجب أن يكون على حذر. فإن أقل حركة يأتيها بلا انتباه، قد تجعله يصطدم بالأجسام الصلبة، كما أنه قد «يسقط إلى أعلى» أو يسبح من طرف كابينته حتى الطرف الآخر. وإذا عن له إن «يهرش» طرف أنفه، فإنه يتعرض لخطر تسديد لكمة قاضية إلى نفسه (نوك أوت).

وإذا تنفس فإنه سيخرج أثناء الزفير غازًا كربونيًا سيبقى أمام وجهه، ويستنشقه في التنفس التالي إلا إذا وجدت طريقة ما لتحريك الهواء باستمرار. وسيمكن للسابح في الفضاء أن يشرب ويأكل من غير مشقة. ولكن حركة الشرب ستكون عملية بالغة الدقة. فإنه إذا قلبت كوب من اللبن، فإن السائل سيبقى معلقًا في الفضاء.

ولتجنب مثل هذه المضايقات. يجب على رجل الفضاء أن يستخدم إناء له «بزازة». وبنفس الطريقة، كل أداة غير مثبتة – مثل سكينة أو شوكة أو طبق إلخ – ستكون معرضة لأن تظل طافية في الفضاء في المكان الذي تترك فيه وعلى ذلك فالأدوات كثيرة الاستعمال يجب أن

تكون بها أجزاء ممغنطة تجتذب إلى قطع معدنية مثبتة. وبالطبع سيكون للأدوات القاطعة أو الشائكة (السكاكين أو الشوك مثلًا) حواف أو أطراف مدورة لتجنب الحوادث.

ولكن قبل البدء في تشييد سفينة كوكبية يجب أولًا إيجاد أو صنع معدن يكون بالغ الخفة، ويستطيع في الوقت نفسه مقاومة درجات الحرارة القصوى. وإذا حكمنا بالتقدم الذي أحرز حتى اليوم، يكون في الاستطاعة التنبؤ بأن التابع الصناعي الأول (القمر الصناعي) سيقذف في الفضاء قبل انقضاء خمس سنوات.

ويُمكن القيام بهذه العملية باستخدام قذيفتين أو ثلاث أو بدفعه بوساطة جهاز نفاث ضخم يعطيه سرعته المبدئية، فيتجنب بذلك التبذير في الوقود.

على أي الحالات عندما يتم قذف التابع الأول في الفضاء، سيقوم بالدوران حول الأرض، بينما تنقل أجهزة راديو وتليفزيون كل البيانات الضرورية إلى المراقبين في المحطة الأرضية.

وفي نفس الوقت سيلتقط جهاز فوتوغرافي أوتوماتيكي صورًا تمثل كوكبنا وهو يرى من التابع الصناعي. وفي مبدأ الأمر، ستسكن قردة وجرذان في ذلك التابع الصناعي وهي محبوسة في أقفاص خاصة مزودة بأجهزة تسجل وتنقل رد الفعل الفسيولوجي لدى هذه الحيوانات إلى مركز المراقبة على الأرض.

وأخيرًا، عندما يعرف كل شيء عن مسلك هذه الحيوانات، ستطير القذيفة الأولى المحملة بالرجال نحو الفضاء الواسع المجهول. وعند الخروج من الطبقة الجوية، سيكون هناك خطر يتهدد مستكشفي السماء: فإن شهبًا من كل نوع ومن كل حجم، تمرق بسرعات تتفاوت بين ٣٥ و ٧٠ كيلو مترًا في الثانية، ستهدد بشق السفينة الكوكبية.

ولكن الفلكيين قدروا أن احتمال وقوع مثل هذه الحوادث ضعيف. وأن سفن الفضاء يمكن أن تسير خلال شهور من غير أن تلقى تهذا المكروه.

وسيكون من المُمكن الاهتداء إلى وابل الشهب من قبل. وعندما تصبح القذيفة في الفضاء الواسع، ستحذر بالرادار من كل خطر يتهددها. وسيكون حينئذ من الكافي أن تحيد عن طريقها قليلًا لتجنب الاصطدام المخيف. وعندما يستقر التابع الصناعي، ستنحصر العملية التالية في الطيران إلى أقرب كوكب، وهو القمر.

وبالنسبة للمسافة المحدودة نسبيًا، والتي تفصلنا عن القمر (٣٨٤٠٠٠ كيلو متر)، فإن مثل هذه الرحلة ستكون سهلة التحقيق. وللهبوط في القمر سيدور الطيارون الكوكبيون بالقذيفة للتمكن من النزول على القاعدة ثم يتركونها تهبط وهم يقللون من حركة الدفع فيها بالتدريجز ولما كان القمر مجردًا من الهواء الجوي، فلن يحسب حساب للخونة الناتجة عن مقاومته.

وبعد أن يرتدي المستكشفون الكوكبيون ملابسهم ويحملون مهماتهم الخاصة بالاستكشاف، سينشئون في الحال قاعدة، ويتصلون مباشرة بالأرض بطريق الراديو. وسينضم إليهم فيما بعد ملاحون آخرون في الفضاء ويوعمل الجميع على توسعة القاعدة، ويحفرون سراديب تحت الأرض وينشئون مخابىء مكيفة الهواء لكي يتقوا الحرارة القصوى في النهار، وليل القمر الفارس القارس البرد. وستستخدم الطاقة الذرية في إنتاج الحرارة والضوء، بينما تنقل القذائف من الأرض غلى القمر المهمات والمؤن والأثاث.

وأهمية القمر كقاعدة ستكون مزدوجة. فمن ذلك الكوكب يمكن بسهولة قذف آلات موجهة، حيث أن الثقل فيه يقل عن مثيله على الأرض بمقدار ست مرات. وعندما تكون هذه الآلات في الفضاء، فإنه يمكن توجيهها بالرادار إلى أية نقطة في كرتنا الأرضية. ثم بعد ذلك، بفضل ضعف الثقل سيمكن للقمر أن يصبح قاعدة عظيمة للقيام برحلات إلى الكواكب الأخرى. وسيكون المريخ بلا شك هو أول كوكب في منظومتنا الشمسية يستكشفه البشر. والمريخ يبعد عن الأرض من أقرب نقطة بمقدار ٥٦ مليون ك. م، والزهرة بمقدار ٤٦ مليون ك. م. وتبعًا لأقوال الفلكيين من الممكن أن يكون المريخ مسكونًا بمخلوقات وهبت العقل والذكاء.

وقد أيدت هذه النظرية بعض الوقائع العجيبة التي لوحظت خلال السنوات الثلاث الأخيرة. وأهم هذه الأدلة هو بلاشك الانفجار الغامض

الذي حدث فوق هذا الكوكب في عام ١٩٤٩. وقد لاحظ هذه الظاهرة فلكي ياباني مشهور اسمه تسونيو ساهيكي. وكان ذلك في ٩ ديسمبر ١٩٤٩. فإن ساهيكي لم ينقطع عن مراقبة المريخ مُنذ عام ١٩٣٣. ولذلك فإن لتقريره وزنًا كبيرًا.

وقد أحدث الانفجار المذكور ضوءًا ساطعًا خلال عدة دقائق. ثم تكونت سحابة مضيئة رمادية تميل إلى الاصفرار، بلغ ارتفاعها ٦٤ كيلو مترًا، وقطرها ١١٢ كيلو مترًا. وبعد أن استبعد العالم الياباني عدة افتراضات، رأى أن المريخ كان مسرحًا لانفجار ذري. فمثل هذا الانفجار العنيف لا يمكن أن يكون له غير أحد سببين: ثوران بركاني أو انفجار ذري. فإذا كان التفسير الثاني هو الصحيح، فمعنى ذلك أن الانفجار أحدث بوساطة مخلوقات على درجة هائلة من الذكاء.

ولقد كان الذي حدث أشد من انفجار قنبلة هيدروجينية – إلا إذا كان ذلك انفجارًا عرضيًا حدث من تلقاء نفسه. وفي حالة ما إذا كان قد تم بفعل أحد، تكون هناك ثلاثة احتمالات: أولًا، إن سكان المريخ هم الذين أحدثوه.

ثانيًا، أن جنسًا آخر جاء من كوكب آخر أمكنه أن يضع قدمه في المريخ.

ثالثًا، إن رحالة في الفضاء خارج منظومتنا الشمسية استخدموا المريخ كقاعدة للعمليات خلال مراقبتهم لكوكبنا.

ومُنذ أن حدث انفجار سنة ١٩٤٩، شوهدت سحب زرقاء عجيبة بوساطة المستر والتر هاس مدير جمعية المراقبين القمريين والكوكبيين وبوساطة فلكيين آخرين. وقد ظل سبب هذه السحب الزرقاء من غير تفسير.

أيًا كان الأمر، فإن الافتراض بأن المريخ مسكون هو افتراض على درجة من الجد تجعل الإنسان يبدأ باستكشافه قبل غيره. وعندما وصلت رحلاتنا في الفضاء إلى الفلك الذي يدور فيه المريخ، فإنهم سيبدأون القيام برصد دقيق بواسطة التلسكوبات والرادار. فإذا تبينوا أن الكوكب مسكون فإنه يجب عليهم أن يقوموا بمراقبة طويلة قبل الاقتراب منه.

وبعد ذلك سيكون على رجال الحملة اختيار أحد أمرين: إما أن يرسلوا إلى المريخ بعثة استكشافية تتكون من بعض الأفراد، أو يرسلوا آلة موجهة ومزدوة بـ «عيني» جهاز تصوير، وجهاز تليفزيون، بينما يقوم مراقبوا القذيفة بالإنصات ومشاهدة لوحة التليفزيون لتسجل الأصوات وفك رسائل الشفرة. ولعدم إخافة المريخيين سيضع أفراد البعثة آلاتهم المسجلة على ارتفاع كاف. فإذا لم يطلق سكان الكوكب النيران عليهم أو لم يطاردوهم بالأجهزة الطائرة، فيكون في استطاعتهم الاقترابز ومن الطبيعي أن في هذه المرحلة الأولية من مراحل المراقبة، ستلتقط أجهزة التصوير والتليفزيون صور الآلات الطائرة، وكذلك صور المنشآت الدفاعية والمدن والمصانع أن كان هناك شيء من ذلك.

وعندما تتم هذه العملية الأولى، يأخذ طاقم السفينة الكوكبية سيبله إلى الأرض ثانية، أو يبقون في مدار المريخ، ويرسلون إلى سكان الأرض نتائج مشاهداتها بطريق الراديو. فإذا كان الكوكب يكشف عن خطر يتهدد كرتنا، فعندئذ يمكن التفكير في إرسال مجموعات ضخمة من السفن الجوية من أجل الاستطلاع والتحقق. ومن الواضح أن هذه الملاحظات لن يتم الحصول عليها بين يوم وليلة. كما أن فك طلاسم رسائل المريخيين سيتطلب وقتًا طويلًا. وخاصة إذا كان يوجد هناك كما هي الحال على الأرض، لغات متعددة.

من هنا، قد تستغرق الملاحظة والمراقبة والاستطلاع في حذر عدة سنوات قبل أن نعرف بالضبط ماذا سيكون موقف المريخيين إزاء صواريخنا الكوكبية. فإذا لم تكشف مراقبتنا الطويلة عن أي نيات عدائية من ناحية المريخيين الذي بالعكس، قد يبدون رغبة في الاتصال بنا، عندئذ فقط يمكننا أن تستعد للهبوط فيه. وفي هذه الحالة نبدأ بمحاولة التخاطب مع سكان هذا الكوكب عن طريق الراديو أو الإشارات الضوئية.

وقد يكون من الواجب الانتظار شهورًا عديدة قبل أن يدرك المريخيون ماذا ينبغي أن يكون مسلكهم إزاء نياتنا فيما يختص بهم. وحتى لو كانوا يمتون إلى جنس مسالم، فإنه قد يحدث أن تدخل قذائقنا الرعب إلى قلوبهم، ويجعلهم الخوف يتصورون رسائلنا السلمية كمناورات ماكرةن فيحولون بكل الوسائل دون هبوطنا. وهناك احتمال

آخر، وهو أن مظهرنا الجسماني قد يكون مختلفًا عن مظهرهم، مما يثير لديهم الذعر، ويدفعهم إلى القيام بهجوم يائس، وقد نضطر في آخر الأمر إلى التخلي عن كل أمل في التفاهم معهم، ونتركهم لشأنهم. وكذلك يجب مواجهة الموقف فيما لو كان المريخيون شعبًا عدوانيًا بشكل خطر. وإذا اكتشفنا لديهم مدنية متأخرة عن مدنيتنا، فإنه يكون في استطاعتنا تركهم وعدم التعرض لهم.

ومن العسير تحديد المدة التي يمكن أن تستغرقها الرحلة إلى المريخ أو إلى الزهرة. فنحن نعرف المسافات التي تفصلنا عن تلك الكواكب، ولكننا نجهل كيف ستكون طريقة الدفع في صواريخنا المستقبلة. فإذا استخدم وقود سائل كما هو الأمر في الصواريخ الموجودة في أيامنا هذه، يمكن التنبؤ بأن سرعة أجهزة المستقبل لعبور الفضاء ستكون حوالي ٤٠،٠٠٠ ك. م. في الساعة. وإذن يمكن التقدير بأن الرحلة من الأرض إلى المريخ تستغرق ثلاث سنوات على الأقل. ولكن من الممكن أن طريقة الدفع واستخدام المجالات الكهربائية والمغناطيسية يزيدان هذا الرقم وهو ٤٠،٠٠٠ ك. م. في الساعة إلى رقم أكبر بكثير.

وإذا ما قذفت السفينة الجوية في الفضاء، وتحررت من جاذبية الأرض حيث لا تعود هناك مقاومة في الهواء، فإنها قد تصل – نظريًا – إلى سرعة ٣٠٠،٠٠٠ ك. م. في الساعة تقريبًا. بل أن البعض قد أشار إلى أنه لا يمكن في تلك الحالة وضع حد أقصى للسرعة.

وقد يكون في استطاعة أحفادنا – حسب قول بعض العلماء – أن يحققوا سرعة خيالية تساوي سرعة الضوء (٣٠٠،٠٠٠ ك. م. في الثانية) من أجل الرحلات الطويلة في هذا الكون. وأننا عندما ندرس بدقة المسلك الذي تتبعه الأطباق الطائرة، نقول لأنفسنا بأن سكان الكواكب الأخرى لابد أنهم يملكون وسائل كاملة للمراقبة من مسافات بعيدة. ويبدو من المؤكد أن هذه الأطباق مزودة بآلات تصوير وأجهزة تليفزيون. وإذا صدقنا ما جاء في تقرير هاري بارنيس ومراقبين آخرين، فإن المخلوقات التي تقود «الأطباق» تظل منصتة لإذاعاتنا في الراديو وتفهم معناها.

الفصل العاشر

أصدقاء أم أعداء

كنت أتحدث مع جيم ريوردان، فيما تريده منا الأطباق الطائرة. فقلت له إن نتيجة ذلك تتوقف علينا نحن.

وأيًا كان الأمر دعنا نتأمل بأي الأمور تهتم الأطباق الطائرة بصفة خاصة. فمال ريوردان على الخريطة الكبيرة المنشورة على مكتبي، وأخذنا نفحص معًا المواضع الرئيسية للمشاهدات، فخرجنا بأنها كما يلي:

١- المصانع الذرية وبخاصة في لوس آلاموس.

٢- القواعد الجوية لسلاح الطيران الأمريكي.

٣- القواعد البحرية والمحطات الجوية البحرية.

٤- مركز التجارب للصواريخ ذات المدى البعيد.

٥- مصانع الطيران.

٦- معظم المدن الكبرى في الولايات المتحدة.

وعقبت أنا على ذلك قائلًا:

– على أي الحالات هناك حقيقة ثابتة، وهي أن الأطباق الطائرة تهتم بصفة خاصة بصناعات التسليح، والمطارات الحربية الكبرى، ولكنها لا تبدي كثيرًا من الاهتمام بوسائل النقل البري، ولو أن البعض منها شوهد وهو يتبع قطارات أو سيارات.

ونهض صاحبي، وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابًا بشكل عصبي، ثم قال:

– قد أكون ذا طبيعة متشائمة، ولكني أرى أن هذه الجولات الاستطلاعية المستمرة فوق مراكزنا الذرية ومطارتنا الحربية يمكن أن تكون تمهيدًا لشن الهجوم.

فقلت معقبًا:

– إني أعترف بأن الوضع الذي تتخذه المسألة لا يبعث على السرور، ولكن ربما يكون الأمر مصادفة بحتة.

فعاد ريوردان إلى الجلوس، ثم نهض ثانية، وأخرج غليونه من جيبه، ثم أعاده إلى مكانه، وقال متسائلًا:

– وفي البلاد الأخرى؟ هل تتخذ المسألة نفس الوضع؟

فأجبت قائلًا:

– نعم، إلا فيما يختص بالمراكز الذرية. ومن المحتمل أن يكون «الأطباق» قد حلقت فوق مصانع روسية لصنع القنبلة الذرية. ولكن

حتى الآن، هناك تقارير نادرة عن مشاهدات لأطباق طائرة اجتازت الستار الحديدي.

ويجب أن أذكر لك أيضًا مشاهدة «طبقتين» كانا يطيران فوق مناجم اليورانيوم في أفريقيا الجنوبية. كما أنه شوهد عدد كبير منها في سماء أستراليا قبل أن يفجر الانجليز هناك أول قنابلهم الذرية. بعدها سجل البريطانيون مشاهدة طبق يطارد طائرة نفاثة من طراز «ميتيور» فوق مطار أوبكليف. وفي الكونجو شوهد «طبقان» يقومان بالاستطلاع فوق قاعدة جوية. ويمكنني أن أذكر لك عددًا من الحالات نقلًا عن تقارير وردت من الخارج.

وفي شهر فبراير ١٩٥١ شاهد طاقم وركاب طائر من طائرات النقل التابعة لشركة إيست أفريكان «طبقًا» في شكل صاروخ مستطيل الشكل. وقدر قائد الطائرة طوله بستين مترًا تقريبًا.

وقبل ذلك بوقت قليل وقع طاقم طائرة وركابها بأسمائهم على تقرير قدموه وهم يقسمون على صحته، وجاء فيه وصف لآلة في شكل صاروخ.

فقال صاحبي:

– إذن لن يكون الإنسان مخطئًا عندما يؤكد بأن العالم بأكمله يلتقى زيارة هذه الآلات. فحتى الآن كنت أظن أن أمريكا وحدها هي التي تثير اهتمامها.

– أنا الآن مقتنع بأن هذا هو الصحيح. فمهما كان الأمر، نحن الذين لدينا التفوق فيما يختص بالأسلحة الذرية ونحن من وجهة نظرهم أقوى دولة في العالم. ولكن من المؤكد كذلك أنها إذا كانت تريد بنا شرًا فقامت بهجومها علينا مُنذ وقت طويل.

كان جيم ريوردان يستعد للتعليق على عبارتي الأخيرة، عندما دق جرس التليفون. فتناولت السماعة، فسمعت صوتًا أعرفه يقول: هنا ويلبور سميث. أنا في واشنجتون مُنذ بضعة أيام، ولكني لم أتمكن من الاتصال بك واليوم آخر يوم أقضيه في العاصمة.

– حسنًا سأحضر إلى فندقك بعد ساعة تقريبًا.

– أنا في شورهام غرفة رقم ٤٢٢ ف.

...

لم يكن ويلبر سميث قد تغير مُنذ المرة الأخيرة التي التقينا فيها، فيما هذا شعره الذي ابيض قليلًا وبدا المهندس الكندي متحفظًا وكتومًا كعادته عندما سألته عن الأبحاث التي تقوم بها كندا، فلم ألح عليه. ثم سألته عن مصدر الأطباق الطائرة، حسب اعتقاده فكان جوابه كما يلي:

– ما سأقوله لك ليس غير رأي شخصي. هناك بعض أمارات تجعلني أميل إلى الظن بأنها تجيء من كوكب المريخ. أنت بلا شك تدري بالانفجار الذري الذي لوحظ بوساطة الفلكي الياباني تسونيو ساهيكي في ٩ ديسمبر ١٩٤٩ على سطح المريخ. وأنت لا تجهل طبعًا

أنه مُنذ ذلك الوقت شوهدت سحب زرقاء فوق الكوكب. ولكن هناك عاملًا آخر. ففي آخر مرة وصل فيها المريخ إلى أقرب نقطة له من الأرض، تنبأت أنا نفسي بأمر. وفعلًا، وقعت ظواهر أخرى في الوقت الذي توقعته بالضبط. طبعًا، ذلك ليس شيئًا كثيرًا، ولكني مع ذلك أعتقد أن كوكب المريخ لا يكف عن مراقبتنا.

وهناك أحد أمرين: إما أن هذه الأطباق الطائرة تأتي مباشرة من المريخ، وإما أن هذا الكوكب يستخدم كقاعدة للعمليات بوساطة مخلوقات تعيش خارج منظومتنا الشمسية.

فقلت ملاحظًا:

– من الممكن أن توجد قاعدة أخرى. القمر مثلًا. وهناك فلكيون رؤوا أنهم شاهدوا أضواء في فوهات بركانية على سطحه.

فقال سميث:

– ليس لدي أي تأييد رسمي لذلك. على أنه يكون أكثر مطابقة للمنطق أن يستخدم الوجه الآخر للقمر، ذلك الوجه لا نراه أبدًا. فإنه يكون قاعدة مثالية للعمليات. ومنه يمكن الوصول إلى الأرض والعودة منها في وقت قصير.

فقلت:

– والآن كل الذي أبغيه، هو أن يخبرني أحد الناس عن السبب الذي من أجله تبدو «الأطباق» كما لو كانت تراقبنا باستمرار.

فرد علي قائلًا:

– في استطاعتي أن أجيبك على ذلك. نحن بلا شك نجهل هذا الأمر. ولكن فيما يختص بي، أنا أعتقد أن مرحلة الغارات الاستطلاعية في سمائنا لم تنته بعد.

ويبدو من المنطقي أن المعلومات التي تجمع عن طريق هذه «الأطباق الكشافة» يجب أن تخضع لدراسة عميقة قبل أن يتخذ أي قرار بشأنها. بالطبع كل هذه الآراء لا تعدو أن تكون تخمينات. ثم أن تلك المخلوقات ربما كانت تجد صعوبات جمة في فهم لغات كرتنا الأرضية ومن الجائز أن يكونوا من بعض النواحي على درجة من الذكاء الخارق، ولكن ذكاءهم من ناحية أخرى لا يخلو من بعض الثغرات.

فغمغمت قائلًا:

– لو أننا عرفنا فقط ماذا ينتوون لنا.

فقال سميث:

نحن لدينا أمل. فإذا كان هؤلاء الناس متقدمين علينا من الناحية الفكرية، فمن الممكن أنهم يعتبرون الحرب عملًا من أعمال الهمجية. وفي هذه الحالة إذا رأوا أننا لا نملك بالنسبة لهم تهديدًا خطيرًا وإننا بالقياس إليهم قوم بدائيون منحطون، فإنهم سيتركوننا في سلام.

تخيل مثلًا أن بعض طيارينا اكتشفوا في أحد الأيام مدنية مجهولة في ناحية نائية من الأمازون لم يكن قد اكتشفها أحد. فإننا حينئذ سنقوم

بعمليات استطلاع من الجو لكي نتبين درجة الرقي الذي بلغه ذلك الجنس قبل أن نغامر بالقيام باتصال مباشر، وإذا ظهر أن هذه المدنية المجهولة كانت متأخرة عنا بقرن أوقرنين، فمن الجائز أن ننفض يدنا منها تمامًا إلا إذا كان في حوزتها شيء نرغب في الحصول عليه رغبة حارة.

فلنفترض الآن أننا لا نكون متقدمين على ذلك الشعب إلا بعشرة أو عشرين عامًا سيكون عندئذ سنحاول أن نراقبه بدقة لكن نطمئن إلى المستقبل. ومن ناحيتي أعتقد أننا عندئذ سنحاول الاتصال به، ونبين له أننا نحن أيضًا نمت إلى جنس متمدين، ونحاول أن نعقد معه صلات تجارية. ولكن إذا رأينا لسبب أو لآخر أن فيه خطرًا يتهدد باقي العالم، فإنه يجب علينا أن نخضعه لسيطرتنا – برغبته أو رغمًا عنه.

فقلت:

– كل ما ذكرته الآن في غاية الأهمية، خاصة وأني أنظر إلى المسألة بنفس النظرة. كل ما في الأمر أن تفكيري كان ينصرف إلى كوكب المريخ. وقد سألت نفسي مرارًا كيف نتصرف فيما لو عرفنا أنه مسكون بمخلوقات حية.

فقال سميث:

– الموقف سيكون واحدًا. على أي حال أنا أميل إلى النظرية القائلة بأنه جنس مسالم لن يلتجيء إلى الحرب إلا عند الضرورة القصوى.

وتأهبت لمغادرة المهندس الكندي. وعند الباب توقفت ووجهت إليه سؤالًا أخيرًا:

«في حالة وقوع هجوم من ناحية هذه المخلوقات الكوكبية، فكيف ندافع عن أنفسنا؟».

فهز سميث رأسه ببطء وقال:

– أعتقد أننا سنكون عاجزين تمامًا عن الدفاع.

واستأذنت في الانصراف. وبينما كنت أعبر بهو الفندق. سمعت موسيقى راقصة صادرة من قاعة الرقص. فذهبت وألقيت نظرة، فوجدت أن أرض القاعة لا يوجد فيها شبر واحد خال من أزواج الراقصين والراقصات. فسألت نفسي فجأة:

– ترى ماذا يكون رد الفعل لدى أولئك الناس أو أنه كشف لهم بغتة عن سر الأطباق الطائرة؟

من يدري. ربما يأخذون المسألة بهدوء أكثر مما كنت أتصور.

الفصل الحادي عشر

الهجرة بين الكواكب

إن أهم مشكلة صادفتني – وهي سبب المراقبة التي تقوم بها الأطباق الطائرة – ظلت من غير حل. وفي الحقيقة فإن الغموض لن يزال عنها طالما أن تلك المخلوقات المجهولة لم تكشف الغطاء بنفسها عن ذلك اللغز. ولكن العالم كله يتطلب جوابًا واضحًا على قدر الإمكان.

فما هو الجواب الذي يجب أن يعطى له؟

مُنذ عام ١٩٤٧ وجد افتراضان:

الأول: إن جنسًا كوكبيًا مجهولًا يخشى غزوًا محتملًا من ناحية سكان الأرض. وهذا الغزو يمكن أن يتم في اليوم الذي يصل فيه الإنسان إلى حل مشكلة السفر فيما بين الكواكب. وليس من المستبعد أن يكون تقدم الأسلحة الذرية قد زاد من خوف «جيراننا».

وقد بينت التجارب التي أجريت في قذف الصواريخ إلى ارتفاع كبير بأن اليوم الذي سيستطيع فيه الإنسان أن يغامر بنفسه في الفضاء قد قرب نسبيًا.

الثاني: إن المخلوقات الكوكبية تخشى آثار الانفجارات الذرية التي قد تحدث في المستقبل والتي ستكون أكثر قوة وتدميرًا من تلك التي حدثت الآن، وخاصة إذا كانت هذه المخلوقات تسكن في كواكب تمت إلى منظومتنا الشمسية.

ويعتقد علماء الذرة أن تفجير عدة قنابل هيدروجينية في وقت واحد قد يترتب عنه زيادة في سرعة دوران الأرض أو يغير من ميل الكرة الأرضية فوق مدارها. ومن بين هؤلاء العلماء الدكتور بول أليوت الذي ساهم في صنع أول قنبلة ذرية.

ويعتقد فريق آخر من العلماء بأن الاحتراق الناشيء عن انفجار عدة قنابل هيدروجينية في وقت واحد، قد يكفي لزعزعة جزء كبير من القشرة الأرضية وأحداث رد فعل مخيف قد يؤدي بدوره إلى تدمير الكوكب بأكمله.

ومن المُحتمل أن إحدى هذه الكوارث تنعكس آثارها على المريخ أو الزهرة أو أي كوكب يمت إلى نفس المجموعة الشمسية. وفي هذه الحالة تكون المخلوقات التي تسكن كواكب أخرى من منظومتنا الشمسية قد أدركت بفضل ما تعرفه عن الطاقة الذرية – مدى الخطر المحدق بها، فأخذ القلق يستولي عليها.

وهناك بعض الأسباب الأخرى المحتملة:

١- إذا كان ذلك الشعب المجهول يستخدم هو أيضًا الطاقة الذرية، فمن الجائز أن ذخيرته من اليورانيوم تنفد بسرعة. ويكون انفجار القنبلة الذرية قد كشف له عن وجود مناجم جديدة. ويكون ذلك هو التفسير لما تبديه الأطباق الطائرة من اهتمام خاص بالمصانع الذرية ومناجم اليورانيوم.

٢- من الجائز أن ركاب الأطباق الطائرة يداعبهم الأمل في غزو الأرض.

٣- قد لا تكون لديهم نيات عدوانية، ولكنهم مع ذلك يرون من الضروري القيام بالمراقبة وذلك لسببين:

(أ) إما أن يكونوا شارعين في الاتصال بالبشر عندما نتأكد من نياتهم السلمية ويتأكدون هم كذلك من نياتنا السلمية.

(ب) وإما يكونوا راغبين بكل بساطة في استكشاف الكرة الأرضية من غير حاجة إلى الدخول في علاقات مع سكانها.

وهناك فكرة أخرى قد يكون لها وزن: ففي خلال مائتي سنة، وقبل ظهور الأطباق الطائرة في عام ١٩٤٧، شوهدت أجسام غريبة وظواهر ضوئية في أجزاء مختلفة من الكرة الأرضية.

ففي ٢٦ سبتمبر عام ١٨٧٠ سجلت صحيفة التيمز في لندن أن شيئًا غامضًا ظهر أمام القمر.

وقبل مضي سنة بعد ذلك، أي في أول أغسطس عام ١٨٧١ شاهد بعض سكان مرسيليا «آلة» ضخمة ذات شكل أسطواني تتحرك في السماء ببطء وعلى ارتفاع كبير.

وفي ٢٢ مارس عام ١٨٨٠، ظهرت أشياء عدة براقة ومضيئة في سماء ألمانيا، وبينما كانت هذه الأشياء ترتفع في الجو كانت تتجه نحو الشرق.

وفي عام ١٨٨٥، نشرت «الرويال جازيت» في برمودا خبرًا عن شيء غامض مسدير حلق فوق الجزر. وفي نفس السنة، في أول نوفمبر، أكد فلكي وكذلك كثير من الشهود بأن «آلة» هائلة في شكل اسطوانة حلقت فوق مدينة آندرينوبل في تركيا.

وفي ١٩ مارس عام ١٨٨٧، سجلت مشاهدة آلتين طائرتين تسقطان في البحر بالقرب من سفينة هولندية. وحسب رواية الكابتن سويت، وهو من شهود الحادث، كانت إحدى الآلتين مضيئة والأخرى مظلمة.

على أي حال لقد أبدى رأيًا قاطعًا في نقطة واحدة وهي: إن تلك الأشياء لم تكن شهبًا.

وبعد ذلك بعام واحد شوهدت فوق نيوزيلندا أسطوانة بيضاوية تتحرك على ارتفاع كبير في السماء وبسرعة هائلة.

وفي عام ١٨٩٠ شوهدت آلات مشابهة فوق جزر سوند. وبعد ذلك في انجلترا واسكتلندا. وهناك تقرير صدر عن أميرال بريطاني يصف أسطوانة ضخمة لها ذيل كذيل المذنب.

ومن المعروف أنه في ذلك العهد لم تكن الطائرات والمناطيد قد أخذت تشق أجواز الفضاء بعد. ولذلك فإنه يبدو من الصعب تفسير هذه المشاهدات إلا إذا وضعناها في قائمة التخيلات والهلوسة.

وفي خلال نفس الحقبة بدت ظواهر مماثلة في الولايات المتحدة. ففي دينيسون (تكساس) شوهدت اسطوانة، شبهها الشاهد – حتى في ذلك الوقت – بطبق طائر. وقد ظهرت رواية هذه الظاهرة في الديلي نيوز التي صدرت في دينيسون بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٨٧٨.

وفي عام ١٨٩٧ شوهدت بوساطة بعض الفلكيين وآلاف الأشخاص آلة غامضة تنشر أضواء حمراء وخضراء وبيضاء فوق غرب الولايات المتحدة. ونشرت تفاصيل الظاهرة في صحف شيكاغو وفي صحف أخرى.

وفي ٢٤ فبراير ١٩٠٤ رأى طاقم سفينة في الأطلنطي «ضوءًا طائرًا» وشاهد الليفتنانت فرانك شوفيلد الذي حرر المحضر بالحادث، شيئًا مضيئًا يتنقل على ارتفاع كبير جدًا، وبسرعة هائلة. (نشرت تفاصيل المسألة في مارس من نفس السنة في مجلة «الجو» ويذر ريفيو – وهي نشرة رسمية لمصلحة الأرصاد في الولايات المتحدة).

وسجلت في نفس المجلة مشاهدة أخرى بالقرب من بيرلنجتون (فيرمونت) في ١٩٠٧: أن آلة غريبة في شكل طوربيد حلقت فوق المنطقة. وبينما كانت ترسم دوائر في الجو، إذ انفصل شيء لامع عن الآلة فجأة. وانفجر قبل أن يلمس الأرض.

فهل يمكن النظر بعين الثقة إلى هذه التقارير المختلفة؟.

إذا كان الجواب بالإيجاب، فهناك نتيجة واحدة نخرج بها، وهي أن الأرض كانت تراقب دائمًا بوساطة «دوريات» تأتي من كواكب أخرى.

وقد يكةن تفسير هذا الاكتشاف الحديث هو أنه مُنذ بضع سنوات لم ينقطع الرادار عندنا ولا الإشارات اللاسلكية عن شق أجواز الفضاء في كوكبنا. ولابد أن الفلكيين في الكواكب الأخرى قد سمعوا بعضها وحاولوا فك طلاسمها. وحتى لو أنهم لم يتمكنوا من ذلك، فإنهم على أي حال قد أدركوا أنها صادرة عن مخلوقات عاقلة تمت إلى عالم آخر.

كنت أفكر في كل هذا، وأنا أسائل نفسي ماذا يمكن أن يكون أصدق تفسير، عندما طلبني جيم ريوردان في التليفون. واتفقنا على اللقاء.

وفي أثناء محادثتنا التي انتقدنا فيها موقف السلاح الجوي وإدارة المخابرات به لعدم إطلاعهما الجمهور أولًا بأول على خفايا الأطباق الطائرة، ذكر ريوردان خبرًا طريفًا مؤداه أن مجلة اسمها «جوستو» نشرت مقالًا عنوانه: «عندما تهبط الأطباق الطائرة على الأرض». ووجه الكاتب

سؤالًا إلى الهيئات المختلفة التي لها صلة بالدفاع الإقليمي بما فيها الصليب الأحمر. وكان السؤال هو: ماذا تفعلون لو أن «الأطباق» هبطت على الأرض؟ ولقد أخذ الجميع على غرة. ولكن الحقيقة التي تكشفت هي أنه لم يكن هناك أحد متأهبًا لمواجهة مثل هذا الطارىء. وأجاب عمدة لوس أنجلوس بأنه لا يوجد أي برنامج معد.

وعندئذ قلت:

– أعتقد أنك على صواب يا جيم. أن هبوطًا مفاجئًا ستكون له عواقب وخيمة.

وبعد مضي يومين طلبني شوب، وعندما ذهبت إليه وجدته مهمومًا، فسألته عن الخطب. فأجاب قائلًا:

– المسألة هي أننا بصدد ازدياد كبير في ظواهر الأطباق الطائرة.

وبعد أن أشار إلى ضخامة عدد التقارير التي تصل من السلطات الحربية، قال:

– الموقف حرج يا دون. فإذا استمر الأمر كذلك، فإننا سنمر بمرحلة جديدة من الذعر تعيد إلى الذاكرة أزمة يوليو ١٩٥٢.

فأجبته مؤمنًا على كلامه:

– نعم، وإني أخمن الباقي.

ثم فتح شوب درجًا وأخرج منه ملفًا، وقال لي وهو يقدم لي بعض الأوراق.

– هذه الوثيقة معدة للنشر، بالاتفاق مع السلطات المختصة... على شرط سأقوله لك عندما تكون قد أطلعت عليها.

كانت النقط الرئيسية في التقرير تشير إلى تصريح صدر عن عدة علماء، ومؤداه أنه في المستقبل البعيد، سيضطر الإنسان بسبب برودة القشرة الأرضية واشتداد حرارة الشمس إلى البحث عن ملجأ في كوكب آخر، إذا كان يريد أن تمتد به الحياة. وبين التقرير أن كل كوكب آخر غير كوكبنا يمكن أن يكون في موقف مماثل.

وهناك فقرة أخرى اجتذبت انتباهي بصفة خاصة جاء فيها ما يلي:

«إذا اعترفنا بأن مخلوقات ذكية، تسكن منظومة أخرى غير منظومتنا الشمسية، قد وجدت نفسها مهددة بهذا المصير المحتمل، فلماذا لا نقبل كشيء جائز، الفكرة بأنه قد وقع اختيارها على الأرض؟».

ونظرت إلى شوب وقد استولى عليَّ الذهول، وصحت قائلًا:

– ولكن هذا بمثابة ديناميت! فإنني إذا كنت لم أخطيء الفهم، يكون السلاح الجوي الأمريكي بصدد التفكير في نشر هذه الوثيقة على الجمهور.

فقال شوب مصححًا:

– أرجو أن تلاحظ أنني لم أقل لك أن ذلك تصريح رسمي!

– إذن ماذا؟

– رأي شخصي. صاحبه إسمه أوديل.

– ماذا؟ الكولونيل أوديل الذي يعمل في إدارة المخابرات؟

– بالضبط. ولكني انبهك إلى أن شخصيته يجب أن تبقى في طي الكتمان...

وعندما افترقت عن شوب أخذت أفكر في الأمر. فلو أن أوديل كان على صواب، فمعنى ذلك أن مخلوقات مجهولة تسكن كوكبنا في طريق الاحتضار، أخذت تنظر إلى الأرض كملاذ ممكن، ووطن جديد، تستطيع فيه أن تحافظ على سلالتها.

كما أنه لم يكن من المستحيل كذلك – كما يفهم المرء من تقرير الكولونيل أوديل – أن هذه المراقبة الطويلة لكوكبنا بينت لسكان ذلك العالم الآخر بأن الأرض لا تلائمهم. ولو لم يكن الأمر كذلك، لكان من المحتمل أن تصبح الأرض – أرادت أم لم ترد – ملجأ لسكان الكوكب الآخر.

وبينما كنت أنطلق بسيارتي لم أكف عن التفكير في نظريات الكولونيل أوديل.

أن احتلال كرتنا الأرضية ليست فكرة جديدة. فكثير من القصص والمسرحيات عالجت هذا الموضوع واستغلته. ولكن حتى الآن لم أكن أفكر في المسألة تفكيرًا جديًا. وفكرة انتقال مجموعات ضخمة من

المخلوقات من كوكب آخر إلى الأرض كانت تبدو لي شيئًا لا يصدقه العقل.

ثم أخذت بعد ذلك أفكر في ظروف نهاية العالم. كيف ستموت الأرض؟

هناك نظريتان تقول الأولى منهما أن الأرض تبرد ببطء، وسوف تصبح كوكبًا من الثلج مثل المشترى وبلوتو. النظرية الثانية أن الأرض، على عكس ما تقول به الأولى، ستلتهب إلى درجة تنتهي بها إلى أن تصبح موقدًا متأججًا.

ويميل الدكتور جورج جاموف أستاذ الطبيعة النظرية في جامعة جورج واشنجتون إلى هذا الافتراض الأخير، وهو يقول أن الطاقة الحرارية للشمس تزداد باستمرار، وأنه سيجيء وقت تتعرض فيه الأرض للدمار بسبب حدوث انفجار.

وفي خلال المراحل الأولى في برودة كوكبنا أو التهابه، سيتقي أحفادنا التغيرات الأولى لدرجة الحرارة على سطح الكرة بتشييد مخابيء تحت الأرض، ومدائن ذات مناخ صناعي، وسيبقون على قيد الحياة بفضل الأطعمة الكيميائية. وإذا كانت البرودة تدريجية، فإن سكان الكرة يمكنهم أن يعيشوا في عالمهم تحت الأرض إلى ما لا نهاية. ولكن إذا سنحت الفرصة، ووجدت الإمكانيات للهجرة إلى عالم آخر أكثر رفقًا، فإنهم لن يدعوها تفلت منهم.

نعم، سينتهي الأمر بالإنسان، في مستقبل بعيد جدًا إلى غزو الفضاء فيما بين الكواكب. وقبل أن تصبح الأرض كرة من الثلج أو كوكبًا ملتهبًا، سيكون أحفادنا قد بدأوا البحث عن ركن في الكون يلتجئون إليه عندما تحين الساعة. وإذا كان لا يوجد كوكب في منظومتنا الشمسية يكون مناخه مماثلًا لمناخ الأرض، فإن متستكشفي الفضاء سيبحثون عن عالم يمت إلى منظومة أخرى. وربما يكتشفون الأخ التوأم لكوكبهم. على أي، أنهم سيواصلون البحث في الكون إلى أن يعثروا عليه.

وعندما يتم اختيار الأرض رقم ٢، ستنشأ سلسلة من القواعد في الفضاء لنقل قوات الاحتلال بالتدريج. وقد يوجد في الكوكب الآخر المماثل لكوكبنا أجناس حيوانية وأسماك وطيور وحيوانات ثديية يمكن للقادمين الجدد أن يستأنسوها. وفي حالة حدوث العكس، سيكون على «المستعمرين» أن يستحضروا معهم عينات من الجنس الحيواني.

ولكن هل سيمكن لجميع سكان الأرض أن يهاجروا بهذا الشكل؟ ذلك مستحيل حتى لو كان لدى البشر سفن كوكبية جبارة. فالهجرة ستشمل أولا الفنيين و «البنائين» وقوات الدفاع وأسراتهم.

ماذا سيكون إذن مصير مئات الملايين من الناس الذين لن يستطيعوا السفر؟ سيكون من العسير إيواء كل هذه الجموع في المخابيء تحت الأرض. ومن يدري إذا كانوا لن يشرعوا في وضع برنامج ضخم للحد من عدد السكان بتحديد النسل وتعقيم الجنس؟ وهكذا، قبل أن تبرد الأرض أو تلتهب، ستكون قد أصبحت عالمًا مفتقرًا يترك لمصيره

كوكب بائد. ومهما بدا كل ذلك في صورة من الخيال البعيد، فإنه قد يكون ذلك هو ما سيحدث بالضبط.

ولننظر الآن حالة ما إذا كان الكوكب الذي سيختاره أحفادنا مسكونًا. فإذا كان الناس في ذلك الوقت أناسًا طيبين، فإنهم سيقترحون على سكان العالم الآخر حياة مشتركة ترفرف عليها أجنحة السلام. أما إذا كان رجل الغد ذا طبيعة قاسية وأنانية، فإنه سيختار بين أحد أمرين: إما أن يبيد الجنس الآخر بكل بساطة وإما أن يغزوه ويخضعه لنفسه.

وبالنسبة لرجل اليوم، لا يمثل رجل الغد أية أهمية خاصة. ومع ذلك فإن نظرية الكولونيل أوديل بشأن الهجرة بين الكواكب، لم تتركني بدون أثر عميق خلفته في نفسي.

الفصل الثاني عشر

التقرير السري

كان هناك عنصر واحد لا زال ينقصني: وهو تقرير من سلاح الطيران الحربي الأمريكي، يعترف فيه بأن «الأطباق» تجيء من كوكب آخر. وعندما كنت أستعرض الوقائع التي جمعتها إدارة المخابرات، كنت أجد نفسي ميالًا إلى التأكد من وجود مثل هذا التقرير.

وأردت أن أتصل بشوب لأسأله رأيه. وبمصادفة عجيبة، في اللحظة التي تهيأت فيها لإدارة رقم تليفونه، دق جرس التليفون وإذا به هو الذي يطلبني.

وعندما التقيت به سألته عما إذا كان يوجد تقرير سري. فصمت لحظة وعندئذ لم ألح عليه. ولكنه لم يلبث أن قال: «يمكنني أن أقضي بهذا: في الخريف الماضي شرع في القيام بتحليل دقيق لكل الأدلة المتجمعة إليك. وقد اتخدم المحققون طريقة الاستبعاد واحدًا فواحدًا، فلم يحتفظوا إلا بتفسير واحد. ولكني لا أستطيع أن أذكره لك. فهو مُنذ الآن فصاعدًا «سري جدًا».

والآن وقد أصبح الهدف قريبًا، لم يكن يتبقى أمامي غير باب واحدًا أدفعه. فقمت بمحاولة أخيرة:

«آل، لقد اطلعت على كل الأدلة. فهل لك أن تقول لي ما هي النتيجة التي خرجت أنت بها؟».

فحدجني بنظرة غريبة. ثم أخرج من جيبه ورقة – نسخة من خطاب. ومد يده بها إليَّ وهو يقول:

– هذا أهم من كل شيء. وقد كنت على وشك أن أرسله إليك. إنه الرد الرسمي على خطاب كان قد أرسله لنا ناشر كتابك. فإن تقارير إدارة المخابرات التي سردتها فيه أفزعتهم.

– لكن ما دمت قد أخبرتهم بأنني أطلعت على هذه التقارير!

– لقد أرادوا الحصول على تأييد رسمي يوجه إليهم شخصيًا وها هو، وزيادة على ذلك، فيه تصريح من السلاح الجوي يصف الماجور كيهو بأنه مخبر مدقق جدير بالثقة. أنظر أنت بنفسك.

فقرأت ما يلي:

وزارة الدفاع

إدارة الصحافة

واشنجتون ٢٥، د. ث

٢٦ يناير ١٩٥٣

هنري هولت وشركاه

٣٨٢ ماديسون أفينيو

نيويورك ١٧، ن. ي

سيدي:

ردًا على الخطاب الذي أرسلته لنا بخصوص الكتاب الذي اقترحه عليك الماجور دونالد كيهو الماجور في المعاش من سلاح البحرية الأمريكية في موضوع «الأطباق الطائرة»:

نحن: السلاح الجوي الأمريكي، ننظر إلى الماجور كيهو كمخبر مدقق جدير بالثقة. وأن الصلات المتصلة التي عقدها مع السلاح الجوي الأمريكي، والمعاونة التي قدمها لنا أثناء التحقيق الذي نقوم به في «الأشباح الطائرة غير المعروفة» تجعل منه ثقة في هذا الموضوع. وكل تقارير المشاهدات والمعلومات الأخرى التي يذكرها الماجور كيهو قد أطلع عليها بعد أن وضعت تحت تصرفه بناء على طلبه. وقد خرجت كلها من أرشيف «المخابرات السرية الجوية الفنية».

والسلاح الجوي الأمريكي ولجنة التحقيق به، ومشروع «الكتاب الأرزق» على علم بالنتيجة التي استخلصها الماجور كيهو: وهي أن الأطباق الطائرة تأتي من كوكب آخر. والسلاح الجوي الأمريكي لم ينكر أبدًا وجود مثل هذا الاحتمال. نعم، هناك عدد من موظفيه يرون أن المسألة لا تعدو أن تكون ظواهر غير طبيعية غريبة ومجهولة تمامًا. ومع ذلك، فإنه إذا كانت تحركات الأطباق الطائرة التي يبدو أنها تدار بطريق التوجيه، والتي شوهدت بوساطة عدد من المراقبين الثقاة، حقيقية، فإن التفسير الوحيد المعقول هو القول بأنها قادمة من كوكب آخر».

وقد عقدت الدهشة لساني خلال برهة. ثم عدت إلى قراءة الجملة الأخيرة ثانية. والذي كان أمامي لم يكن شيئًا سوى الاعتراف الرسمي من سلاح الطيران الأمريكي بأن الأطباق الطائرة من أصل كوكبي!.

هذا وأنه لم يكن هناك أدنى شك في أن تحركات «الأطباق» موجهة. وهذا أمر كانت إدارة المخابرات تعرفه. وقد شهد به مائة من الطيارين الحربيين. وفضلًا عن ذلك فإن المشاهدات (بالعين وبالرادار) التي حدثت في جهات متعددة في وقت واحد تقطع بذلك.

وملأت رئتي بنفس عميق:

– أخيرًا! ذلك ما كنت في انتظاره مُنذ سنوات!.

فقال شوب:

– لقد رأيت أن ذلك قد يهمك.

– والآن، أصبح من غير المجدي أن أسألك رأيك.

– إنني مقتنع مُنذ وقت طويل بأن الأطباق الطائرة هي آلات كوكبية. إنه لا يوجد تفسير آخر لها.

– سؤال أخير، هل تسمح: هل لديك فكرة عن مشروعات....

– كلا، ويمكنني أن أؤكد لك أنه لا يوجد أحد في السلاح الجوي الأمريكي لديه رأي قاطع في هذه المسألة. توجد عشرة دوافع معقولة، ومن ضمنها النظرية التي نادى بها الكولونيل أوديل.

وتوقف شوب برهة ثم نظر إلى وعلى ملامحه مظهر الجد وقال:

على أي حال هناك شيء مؤكد: نحن موضع مراقبة من مخلوقات تسكن فيما وراء الفضاء. لقد كنت على صواب مُنذ أول الأمر.

الفهرس

مقدمة..... ٥

مقدمة المترجم..... ١٢

الفصل الأَول: خلف الكواليس..... ١٥

الفصل الثاني: أمسكوا الأطباق .. لكن لا تطلقوا عليها النار!..... ٢٨

الفصل الثالث: الجدال الضخم حول الأطباق الطائرة..... ٤١

الفصل الرابع: أزمة يوليو ٥٠

الفصل الخامس: فوق برميل من البارود..... ٦٨

الفصل السادس: مُشكلة عويصة تطلب حلًا ٨٠

الفصل السابع: لغز ٩٥

الفصل الثامن: المشروع الكندي ١١٧

الفصل التاسع: الملاحة الجوية بين الكواكب ١٢٦

الفصل العاشر: أصدقاء أم أعداء ١٣٧

الفصل الحادي عشر: الهجرة بين الكواكب..... ١٤٥

الفصل الثاني عشر: التقرير السري..... ١٥٧